انعكاس الواقع في القصة القصيرة عند رهنورد زرياب من خلال مجموعته

(مردي كه سايه اش تركش كرد)

الرجل الذي تركه ظله

د/ أسماء أمين حسن

مدرس بقسم اللغة الفارسية وآدابها

كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

المقدمة

تعد القصة من الألوان الأدبية ذات الأهمية في الأدب بوجه عـــام ، والأدب الفارسي الحديث ، والمعاصر بوجه خاص ، وأكثرهـــا إذهـــاراً وانتشاراً نظراً لما تلقيه من أضواء على المجتمع، وسماته ،وتطوراته .

موضوع الدراسة:

الكاتب الأفغاني : محمد اعظم رهنورد زريـــاب ، فقـــد جـــذبتني أعماله ؛ لما تتميز به من بساطة العرض ،ولغة سهلة بسيطة ، لا تعقيد فيها ، ولا غموض ، وأحداثها حية ،ومتلاحقة ، تفرض علـــى القـــارئ ضرورة إتمام قرآءته للعمل الذي بين يديه .

ولقد زادني ذلك إصراراً وشغفا على اختيار مجموعة متكاملة مـــن أعماله ؛ حتي يتسني لي تكوين فكرة متكاملـــة ، ورؤيـــة واضـــحة ، أستطيع أن أقدم من خلالها دراسة وافية عن تلك المجموعـــة. ولقـــد قمت باختيار مجموعة " مردي كه سايه اش تركش كـــرد " أي"الرجـــل الذي تركه ظله " وهي مكونة من ثلاث عشرة قصة قصـــيرة ، قمـــت بدراستها ، وترجمتها ،واخترت منها ثماني قصص كنماذج معبرة عن فكره ، وأسلوبه القصصي .

واكتفيت بهذه النماذج ذلك أنني وجدت فيهـــا مـــا يعيننـــي علـــي الدراسة ، وتظهر من خلالها صور اجتماعية متكاملة عن حياة الشـــعب الأفغاني ، بخلاف بقية المجموعة ، ولكي لا يحدث تكرار في الدراسة. وقمت بترجمة النماذج القصصية، وإلحاق الترجمـــة بالبحـــث ، بعـــد الخاتمة .

أهداف الدراسة :

ثمة صلة وثيقة بين الأديب وبين الواقع ، وسوف نلقي الضوء على صور الحياة التي يطرحها الواقع أمام الأديب ، من خلال المجموعة القصصية ،وما يشير إليه الأديب من مفاهيم إيجابية ، وأخرى سلبية من خلال أشكال مختلفة للحياة والأفراد .

أهمية الدراسة :

ألف الكاتب والروائي محمد اعظم رهنورد زرياب العديد من الكتب، والقصص القصيرة ، والروايات منذ نصف قرن مضى ، وترجمت معظم قصصه وأعماله إلى اللغات الروسية، والفرنسية ، والإنجليزية ،فأردت أن ألقي الضوء على أعماله بما تبثه من مفاهيم تعليمية ، وتربوية ، وأخلاقية، وبما تقدمه من صور حية أعطي من خلالها صورة متكاملة عن حياة الأفغان .

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة ،فهي تتناول كيفية انعكاس الواقع من خلال هذة الأعمال القصصية التي ألقى الكاتب فيها الضوء على حياة طبقات مختلفة من المجتمع الأفغاني .

منهج الدراسه :

ينهج البحث المنهج التحليلي من خلال عرض نماذج قصصية ، ثم تحليلها من الناحية الفنية ، والفكرية .

وقد قمت بتقسيم البحث إلى أربعة مباحث :

الأول : نشأة القصة القصيرة .

الثاني : حياة الأديب ، وأعماله القصصية بصفة عامة .

الثالث : عرض لقصص المجموعة .

الرابع : تحليل القصة فنياً، وفكرياً ، مع إبراز انعكاس الواقع من خلال أحداث هذه القصص.

* الخاتمة .

ملحق ترجمة لـــ نماذج المجموعة القصصية

* ثبت بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

القصة القصيرة ذات أصول بعيدة :

تعد القصة القصيرة في شكلها الفني الحديث آخر الأجناس الأدبية ظهوراً ، فهي لا تذهب إلى أبعد من القرن التاسع عشر الميلادي ، ولكنها في الوقت نفسه تعد من أعرق ألوان الأدب تاريخياً، فمنذ أن جاء الإنسان إلى الحياة كان الطفل يقفز، ويغني ،ويتحدث ، ويخترع ، ويحكي في الوقت نفسه ، وتجذب الأم وليدها بالحكاية ، أو تخيفه بالأسطورة .

والقصص على لسان الحيوان أقدم ما عرف الأدب ، والصلة بين الإنسان والحيوان قديمة ،تعارفا منذ التقيا على وجه الأرض ، ونشأت بينهما صلة روحية ، أعان الحيوان الإنسان في كفاحه من أجل البقاء ، وفي بعض الأحيان قدسه الإنسان ، وعبده .

ووجد الإنسان نفسه في حاجة إلى الحيوان ، فحاول تفسير ذلك عن طريق الخرافات ، والأساطير ، والحكايات ، واعتقد أن للحيوان روحاً ، وأنها تبقى بعد الموت ، واعتقد بعض الناس في التناسخ ، وانتقال الأرواح بعد الموت من جسم إلى آخر ، سواء أكان جسم إنسان أم حيوان [1] .

ولقد أخذ المصريون بهذه الفكرة زمناً ، ونقلها عنهم إلى اليونان الفيلسوف اليونانى" فيثاغورث " ، وبها قال البوذيون في الهند ،

[1] – د / الطاهر أحمد مكى :– القصة القصيرة صـ٧ ، القاهرة ، ١٩٧٧ م

وربطوا بين هذا الانتقال وفكرة الثواب ،والعقاب ، ثم انتقلت إلى بلاد الفرس [١] .

وظهر العديد من الأشكال الأدبية للقصة القصيرة ، كالأسطورة ، والخرافة ، والقصص الخيالية ، والحكاية المطولة ، والحكاية الرمزية ، والمثل القصصي الديني ، والقصص الشعرية, إلى أن عُرفت القصص القصيرة ، وظهرت بصورة ملحوظة في آداب بلاد مختلفة .

وتحظى القصة القصيرة بمزيد من العناية لدى الناقدين ، والدارسين، نتيجة لإقبال الكُتاب ، وعدد كبير من الروائيين المعروفين على ذلك الفن الأدبي، وهي فى الغالب أكثر الفنون الأدبية الحديثة انتشاراً بين القراء ؛ وذلك لأنها تنتشر في دوريات مختلفة الأنواع، وكذلك في الكتب وتمتاز القصة القصيرة بالخفة ، والرشاقة ، وهذا لا يرجع دائماً إلى قصرها فهي أدب لطيف [٢] يدعو بطبيعته إلى الإيجاز .

فالقصة القصيرة فن أدبي قد يجعل الكاتب يغربل التجربة التي يريد أن يكتب عنها ، إلى أن ظهرت " المجموعة القصصية " ، فهي مجموعة قصص قصيرة تكون لنفس الكاتب مترابط بعضها ببعض ، ورغم أن النص غير متواصل ، ورغم وجود أكثر من خط للأحداث ، فالخلفية والبناء القصصي واحد ،ولعل الدافع وراء الربط بين حكايات منفردة حتى تُكون وحدات متماسكة ، يرجع إلى طبيعة الخيال البشري نفسه ، فالخيال قوة تميل للترابط والتوحد [٣]،وأدب القصة القصيرة يستحق دراسة ونقداً نظرياً ، وتطبيقياً يكتب بعناية .

---

[١] – د / الطاهر أحمد مكى :– نفس المصدر ، صـ٨

[٢] – آيان رايد :– ترجمة د/ منى مؤنس : القصة القصيرة ، صـ١١ ، ١٢

[٣] – آيان رايد :– ترجمة د / منى مؤنس : نفس المصدر صـ٩٣ ، ٩٩

وظهرت العديد من الاتجاهات في القصة القصيرة ، فنجد الاتجاه الكلاسيكي ، والرومانسي ثم الاتجاه الواقعي .

الاتجاه الكلاسيكى :-

كان يقصد به ما كتب من أجل الصفوة المثقفة ، ثم تتطور فأصبح يقصد به العمل الأدبي الذي يستحق الدراسة العملية الجادة في الكليات، والأكاديميات ،ولا تتأثر قيمته الفنية بمرور الأيام [١] .

الاتجاه الرومانسى :-

وهو ما يخاطب خيال القارئ ، وعاطفته أولاً ، ويعتمد على اللمحة الشخصية ، ويطلق العنان للعاطفة ، وما تحمل عليه العاطفة من مبالغات ،وهذا الاتجاه غالباً ما يركن إلى أحكام الكاتب الذاتية ، ومشاعره ، وأرائه الخاصة [٢] .

الاتجاه الواقعى :-

إن الواقعية هي نتيجة للاحتجاج الرومانسي على المجتمع المادي ، الذي يطغى على حقوق الفرد، وبذلك تكون الرومانسية مرحلة سابقة للواقعية .

فجوهر الأدب لا يتغير من أساسه، لأن جوهره من جوهر الإنسان، ولكن الذي يتغير هو أسلوب التناول ، والمعالجة عندما يصير أكثر

---

[١] – د / نبيل راغب :- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية ، صـ ١٣ ، القاهرة ، ١٩٧٧ م

[٢] – د / سيد حامد النساج :- اتجاهات القصة المصرية القصيرة ، صـ ٤٠ ، القاهرة ، ١٩٧٨ م

موضوعية ، وأقل ذاتية ، وإن كانت الواقعية تخالف الرومانسية في أنها تستمد مادتها من واقع الحياة .

إلا أن الواقعية الأدبية أولاً وأخيراً فن ، والفن بطبيعته اختيار ، ومجرد اختيار الأديب الواقعي لمضمون معين، معناه إبراز وجهة نظره تجاه الحياة، والمجتمع . [١]

ولذا حرص النقاد على تحديد معنى الواقعية، وعرفوها بأنها : الاتجاه الذي يتحدد باختيار الأديب لمضامينه ، ثم بوجهة النظر التي ينظر بها إلى هذه المضامين ، وعلى هذا الأساس انقسمت الواقعية إلى واقعية نقدية ، وأخرى إشتراكية .

وما يعنينا بالدراسة هو الواقعية النقدية ، فقد ظهرت منذ أوائل القرن التاسع عشر موازية للمدرسة الرومانسية .

فنجد أصحاب الفكر الواقعي يحاولون النظر إلى الواقع نظرة تكشف عن حقيقته ، بعيداً عن الظاهر الزائف ، والواقعية النقدية في بعض الأحيان تميل إلى التشاؤم ؛ لأنها ترى أن الشر عنصر أساسي في النفس البشرية . [٢]

وداخل دائرة الاتجاه الواقعي نجد في كل منهج من مناهجه ، أو أسلوب من أساليبه نماذج متعددة يكتمل فيها الشكل الفني ، وعناصر البناء العضوي للعمل الأدبي ، على اختلاف الهدف منها سواء أكان نقداً أم تصويراً آلياً للواقع بكل جوانبه، أو كان دفعاً إلى تغير الواقع وتصويره[٣].

---

[١] – د/ نبيل راغب :– المذاهب الأدبية – صـ٤١

[٢] – د/ نبيل راغب :– نفس المصدر صـ٤١ ، ٤٢

[٣] – د / سيد حامد :– اتجاهات القصة المصرية القصيرة صـ٢٠٧

المبحث الثانى

حياه الأديب، وأعماله القصصية بصفة عامة :-

رهنورد زرياب : اسمه ، نشأته ، شخصيته ، وآثاره .

اسمه :- محمد اعظم ، وهو ملقب بـ" رهنورد زرياب "

ميلاده :- ولد عام ١٣٢٣ هـ ش = ١٩٤٤ م ، في كابل بأفغانستان ، كان والده من غزنه، ووالدته من الشمال ، ولكنه ولد فى كابل.

نشأته :- نشأ في أسرة متوسطة الحال ، وكان يحب الثقافة، والفن، والقراءة ، وكتابة الأشعار ، والقصص ،وحصل على شهادة الثانوية من مدرسة " ليسيه حبيبيه" [١] في كابل .

تعليمه وثقافته :-

بعد أن أنهى تعليمه الثانوي،التحق بكلية الإعلام قسم الصحافة ، بجامعة كابل ، وحصل على الليسانس عام ١٣٤٧ هـ ش = ١٩٦٨م،

---

[١] - ليسيه حبيبيه :- مدرسة تم إنشاؤها عام ١٢٢١ هـ ش = ١٩٠٣ م ، واحدة من أهم وأفضل المدارس في كابل ، تم إنشاؤها بواسطة أمير حبيب الله خان ، وكان يدرس فيها الصفوة من أبناء أفغانستان ، وقد درس بها حامد كرزاى رئيس أفغانستان سابقاً والمغني المعروف أحمد ظاهر شاه .
صديق فرهنگ :- افغانستان درپنج قرن اخير ، صـ٤٦٤ ، ١٣٧٤ هـش

ثم حصل على منحة لاستكمال دراسته العليا في إنجلترا عام ١٣٥٠ هـ ش = ١٩٧٣ م،وحصل على الماجيستير من جامعة ويلز الجنوبية[١].

ثم عاد إلى وطنه مرة أخرى ، وفي تلك الفترة اشتهر بلقب " رهنورد زرياب " ، وأصبح أشهر أديب ، وروائى ، وناقد ، وكاتب ، ولكنه اكتسب شهرته من كتابته للقصة القصيرة ، التي ظل يكتبها على مدى نصف قرن من الزمان ، وقد ترجمت معظم قصصه ،وأعماله إلى اللغات الروسية ، والفرنسية ، والإنجليزية .

المناصب التى تقلدها :-

عمل زرياب مراسلاً لمجلة " ژوندون " " الحياة " الأسبوعية ، ثم عمل مديراً لمجلة " آريانا افغانستان" التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية، ثم أصبح مسؤلاً عن قسم الفن والأدب بوزارة الثقافة ، ورئيساً لتحرير صحيفة (the kabal new times) (كابل الأخبار الجديدة) في عام ١٣٦٨ هـ ش = ١٩٩٠ م ، ثم أصبح رئيس اتحاد الكتاب الأفغان، وأسدى خدمات جليلة للأدب، والكتاب الأفغان [٢] .

وفي عام ١٣٧٣ هـ ش = ١٩٩٥ م ، قام بالسفر إلى فرنسا ،ولكن بعد التشكيل الوزاري المؤقت آنذاك ، وانقلاب محمد داوود ١٣٥٢ هـ ش : ١٣٥٧ هـ ش = ١٩٧٣م :١٩٧٨ م ، قامت وزارة

---

[١] – نعمت حسينى :–رندگى نامه رهنورد زرياب ، آواها وسيماها ، صـ٣٦٣ ، كابل چاپ اول ١٣٦٧ هـ ش

[٢] – فضل الرحمن فاضل (سفير أفغانستان) :– صرخة عبر القرون :– صـ ٩ ، القاهرة ٢٠١٥ م

الثقافة باختياره ليكون معاوناً لوزير الثقافة ،وهو الآن مستشار لقناة "طلوع الأخبارية" في أفغانستان ،وهو متزوج من الكاتبة المعروفة " سپوزمى زرياب" [1] ، ولديه ثلاثة أبناء .

شخصيته :- شخصية زرياب منذ طفولته ، شخصية خيالية ، فقد كان جده لأبيه رجلاً حازماً ؛ وهذا ما جعل زرياب يهيم بخياله كي يستطيع تنفيذ ما يحلم به ، ولا يستطيع عمله في الواقع ، فبدأ يسبح بفكره ، وخياله ، ويكتب القصص، والأشعار منذ أن كان طفلاً صغيراً .

و كان لدراسته في المدرسة الحبيبية أكبر الأثر على شخصيته ، وكتاباته ، فقد كان طالباً متفوقاً في دراسته ،متذوقاً للآداب، والفنون ، محباً للموسيقى ، درس أكثر من لغة ، فقد أتقن الأنجليزية ،

---

[1] - سپوزمى زرياب :- ولدت عام ١٣٢٨ هـ ش = ١٩٤٩ م في كابل ، لأسرة محبة للأدب والفنون ، كان والدها شاعراً، ويقرأ عليها الشعر كل ليلة وهي في سن صغيرة ، فكان عمرها لا يتعدى ثمانية أعوام ، وكتبت قصصاً قصيرة ، ودرست بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بكابل ،ثم سافرت إلى فرنسا لدراسة الأدب ، واشتغلت بعد عودتها معلمة لتدريس اللغة الفرنسية ، ثم سافرت مرة أخرى إلى فرنسا عام ١٣٦٩ هـ ش = ١٩٩١ م ، ومن أشهر إنتاجها الأدبى مجموعتان قصصيتان أحداهما بعنوان " شرنگ زرنگ ها (سُم الأذكياء) (١٣٦٣ هـ ش= ١٩٨٤م) و الأخري بعنوان " دركشورى ديگر " أي " في بلدة أخرى " ١٣٦٧ هـ ش = ١٩٨٨م .

(www . persian Persia . com) تذكره داستانى از سپوزمى زرياب نويسنده توانای افغانستان

والفرنسية[1] و اختلط بالمفكرين ، والأدباء المشهورين مثل : قــدرت الله حداد فرهاد " [2] ،ومحمد طاهر بدخشى [3] .

وأساتذة جامعة كابل الذين قاموا بمساعدته وتشجعيه حتــى تأخــذ كتاباته شكلاً جدياً وعميقاً ، وذلك منذ أن كان فى الفرقة الأولي بالكليــة ،وعلى الرغم من أنه كان يميل إلى الاتجاه اليساري (الشــيوعي) إلا أنه لم يشترك بأي حزب من الأحــزاب السياســية ، أو الإشــتراكية ، وعرف عن كاتبنا إيمانه ، وحبه ، وتمسكه بوطنه أفغانستان ، وطالما دافع عنه ، فهو المهد الذي نشأ وتربى فيه ، واستنشق هواه ، وشرب

---

[1] – لطيف ناطمى :– رهنور زرياب وب سايت آسمايى
نعمت حسينى :– زند گىنامه رهنورد زرياب ، صــ٣٦٣

[2] – قدرت الله حداد فرهاد :ولد في كابل بأفغانستان ، ١٣٠٨ هــ ش = ١٩٣٠م وتوفي سنة ١٣٨٩ هــ ش = ٢٠١١م ، فيلسوف ،وصحفى ،ومحلل سياسى ، وناقد ، ومؤرخ تاريخى ، وله العديد من الآثار، والكتب الفلسفية والتاريخية . (پوهاند رسول رهين : كى كيست درفرهنگ برون مرزى افغانستان ، صــ ١٢٣ ، استوكهولم ، سويدى ، ١٣٨٤ هــ ش)

[3]– طاهر بدخشى :– ولد في بدخشان عام ١٣١٢ هــ ش = ١٩٣٣ م ، وتوفي في كابل عام ١٣٥٨ هــ ش = ١٩٧٩ م ، وهو واحد من السياسيين ، والمفكرين المشهورين بأفغانستان ، ومؤسس ورئيس أول منظمة سياسية بإسم " سازمان آباد خواهان ميهن " " منظمة معمري الوطن " عام ١٣٣١ هــ ش=١٩٥٢ م ، تخرج في قسم الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة كابل ، وله العديد من الآثار مثل :– تاريخ ادبيات تخارستان ، تاريخ معاصر
افغانستان . (واصف باختري :– محمد طاهر بدخشي كى بود ، صــ ٢٤٠ ، ١٩٨٠ م)

ماءه ، وألف ساكنيه ، وكان يراه أجمل الأوطان ،وهو لا ينكر على أي إنسان حبه ، وولاءه لوطنه .

آثاره :- منذ أن كان زرياب تلميذاً في المدرسة ،كان يكتب القصص ،وينشرها في المجلات المختلفة ولقد نشر له إلى الآن أكثر من مائة قصة قصيرة ، حتى إن العديد من قصصه تم طبعها في إيران، وألمانيا ، وتم ترجمتها إلى اللغة الروسية ، ونشرت في موسكو .

وفي الحفل الأدبي السنوي الذي يقام في تهران تحت عنوان " قند پارسى " أي "الفارسية العذبة " ، وحضره " رهنورد زياب " ، قام " محمود دولت آبادى " [1]،في هذا الحفل بالتحدث عن الكاتب زرياب قائلاً :- أفضل الطرق للتعرف على هذا الكاتب هي قراءة أعماله ، وإن العديد من قصص رهنورد كان لها كبير الأثر حتى في نفوس الإيرانيين.

ومن أهم آثاره :- سيناريو فيلم " اختر مسخره " "اختر المضحك ".

قد صدر له مجموعات قصصية منها :-

- پيراهن ها :- القمصان
- حاشيه ها :- الحواشي
- گنگ خواب ديده :- الأخرس الحالم
- دور قمر :- حول القمر

---

[1] - محمود دولت آبادى :- ١٣١٩ هـ ش = ١٩٤٠ م ، كاتب إيراني مشهور كتب العديد من القصص ، الأفلام ، والمسرحيات ، وقد ترجمت أعماله إلى عده لغات منها الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والكردية ، وكان وشيك الحصول على جائزة نوبل ، وحصل على جائزة البيت الأدبي للثقافات العالمية ، وجائزة الأدب والفنون بفرنسا . (زندگى نامه محمود دولت آبادى ، مجله سخن شماره ٣ ، تهران ، ١٣٨٠هـ ش)

- شمعى در شب ستانى :- شمعة في أرض الظلام
- هذيان هاى دور غريب :- هذيان عصر الغربة
- گلنار وآينه :- جلنار والمرآة
- زيباى زير خاكــ خفته :- الحسناء الراقدة تحت التراب
- چه هاكه نوشتيم :- ما الذي كتبناه ؟
- پايين كار سه روئين تن :- نهاية ثلاثة أبطال
- شيخ قدس الله سره گفت :- قال الشيخ قدس الله سره
- چار گرد قلا گشتم :- طُفت أطراف القلعة الأربعة
- شورشى كه آدمى زادگان وجانورگان برپا كردنــد :- الثــورة التي قام بها الإنسان والحيوان .

وأخيراً المجموعة القصصية القصيرة المعروفة بـــ " داستان هـــا "أي " القصص "، وهي التي بـــين أيـــدينا ، وتحتـــوي علـــى خمـــس مجموعات من القصص القصيرة ، تشتمل على ســـت وثمـــانين قصـــة قصيرة في زهاء ألف صفحة ،هذه المجموعة من القصص القصيرة التي كتبها رهنورد زرياب ما بين :- ١٩٦٣ م : ١٩٨١ م = ١٣٤٢ هـــ ش : ١٣٦٠هـــ ش ، في مجموعة واحدة بأجزائها الخمسة :

١-شهر طلسم شده - " المدينة المسحورة "
٢-مردى كه سايه اش تركش كرد - " الرجل الذي تركه ظله "
٣-دزد اسب - " سارق الفرس "
٤-باران مى بارد - " يهطل المطر "
٥-سگ وتفنگــ - " الكلب والبندقية " [1]

وسوف تقتصر الدراسة علي المجموعة القصصية "مـــردى كـــه سايه اش تركش كرد " أي " الرجل الذي تركه ظله "

[1] -فضل الرحمن فاضل (سفير أفغانستان) : صرخة عبر القرون صـــ١١،١٠

المبحث الثالث

عرض لقصص المجموعة

المجموعة القصصية :- " مردى كه سايه اش تركش كـــرد " ، كتبها زرياب :

منذ عام ١٣٤٨ هـــ ش = ١٩٧١ م / إلى عام ١٣٥٥ هـــ ش = ١٩٧٨ م ، وهى موضوع الدراسة ، و تحتوي على ثـــلاث عشـــرة قصة قصيرة .

سوف أقوم في هذا المبحث بعرض أحداث " ثماني قصـــص " مـــن قصص هذه المجموعة .

(١) خنده تلخ شب " ابتسامة الليل المريرة " [١]

وتبدأ القصة بوصف المكان ، ويرسم الكاتب صورة لمنتصف الليـــل والظلام ، والجميع نيام ، وكان هناك شاباً ثملا يدور في أزقة المدينة ، ويشعر بالملل والوحدة ، فلا شئ سوى هذا الظلام ويترامي إلى المسامع صوت غناء الحارس الحزين .

وفجأة رأى الشاب سيدة مسنة ، تبكي وتطلب منـــه المســـاعدة ،وأخذته إلى بيتها ، كان في زقاق ضيق ، وفي دهليز أســـفل الســـلم تعيش هي وإبنها الصغير المريض ، فسألها عنه لماذا لا تحضري إليـــه

[١] – رهنورد زرياب : مردي سايه اش تركش كرد : خندهء تلخ شب ،صـــ١٩، ١٣٩٢هـــ ش

الطبيب ؟ قالت : إنه مريض ، قال : أين أبوه ؟ ، قالت: لقد مات ،وقبل أن يموت قام بجمع كل الأموال، واشترى بها ذهباً ،ودفنه في زاوية ما بالمنزل .

فسألها : لماذا لا تقومي بالبحث عن الذهب وتخرجيه ؟ ، قالت: لا أعرف المكان الذي دفنه فيه ، فقال لها: أقبلي ، سوف أساعدك ، وقام بمساعدتها ، حتى إن الطفل الصغير نهض من فراشه رغم مرضه ،وكأن هذا الخبر جعله يتعافى من مرضه ، وأخذوا فى البحث والتنقيب عن الذهب ، حتى وجده الشاب بالفعل في وعاء خزفي صغير، واحتضن الوعاء وأخذ يجري والمرأة تناديه : أين تذهب؟ ، وأخذت تصرخ وتبكي لكي يعود ، وهو يجري بقوة غريبة ، وعجيبة لم يلحظها على نفسه من قبل ، إلى أن وصل إلى جذع شجرة ، فأراد أن يستريح قليلاً ، وأغمض عينيه وغط فى النوم ، وعندما استيقظ الشاب لم يجد الوعاء الخزفي ، وعندما عاد إلى منزله وجد الباب مغلقاً ، مثل كل ليلة، ودخل المنزل ، فوجد كل أغراضه كما هي ، ولا يوجد جليس ولا أنيس سوى الليل، والوحدة ، وسمع أصوات ضحكات الليل المريرة .

(٢) پرده " الستار" :-[١]

في ليلة من ليالي الصيف الحارة التي تجعل الإنسان لا يستطيع النوم ،وكان الوقت متأخراً، ربما كان مضى من الليل أكثر من منتصفه ، وكانت المصابيح في الطرق تتلألأ في ظلام الليل الحار وكانت الناس تريد الفرار من حرارة المصابيح ،ويصور الكاتب شابا يقف بجوار

[١] -رهنورد زرياب : پرده صـ٢٥

زجاج دكاناً، وكان به العديد من الأقمشة المختلفة الألوان ، معلقة على الجدار،وهناك مصباح بنفسجي اللون يتلألأ،ويلقي بضوئه البنفسجي على الأقمشة ؛ فتبدو بنفسجية اللون .

فيقول الشاب: جذبت نظري الأقمشة ذات النقوش المستطيلة الشكل، لم أَرَ ما نقش عليها بدقة سوى المستطيلات ، وشعرت أن هذه الأقمشة تكون جيدة جداً لو استخدمت كستائر ، وتمنيت لو أن أعلق تلك الأقمشة على الجدار عندي ، وأضع مصباحاً بنفسجياً أيضاً ،ولم أعرف لماذا تعجبني تلك الأقمشة ؟ وفجأة سمعت صوتاً من خلفي يقول :- أقمشة جميلة .

نظرت وجدت رجلاً طويلاً ونحيفاً ، وعلى رأسه قبعة ، وأيدت حديثه .

ثم ، قال الرجل :- منذ عدة سنوات كان عندي ستار جميل ، قد ورثته عن جدي ، وكنت أحبه كثيراً ،و لم يكن له نظير ،وجذبنى حديث الرجل ، واستطرد قائلا : كان الستار أسود ومصنوع من الحرير الناعم وله دفء خاص به ، ثم قال بصوت خافت : فقط في جانب من جوانب هذا الستار، كان يوجد نقش رمادي اللون بحجم إصبع صغير، يصور رجلين ،أحدهما قصير والآخر طويل ونحيف ، وفي ليالي الشتاء عندما كنت أفرد الستار، ولم أكن فى حاجة إلى المدفأة ، وكانت حجرتي تبدو كإحدي ليالى الصيف الحار ،وكنت أحب ذلك الستار ،فعلى كل إنسان أن يحب شيئاً ويرتبط به ،وفجأة صمت الرجل ، وشعرت أنه يبكي ، وقال: ذات يوم سرق شخص ذلك الستار مني ، لم أكن بالمنزل ورجعت ،لم أجده وعرفت أنه سرق ، ومنذ ذلك اليوم حتى الآن ، لم أنم نوماًهادئاً،

ثم صمت قليلاً وسألني : ماذا فعلت بستاري ؟ قلت :- أنا لم أرَ ستارك من قبل .

قال الرجل : أيها السارق ، أنت تكذب ، أنت سرقت ستاري ، أنت تحب الستار، وسرقت ستاري، وبدون أن يستمع إلى إجابتي ، ذهب بعيداً، وجاء صوته من وسط الظلام ،يقول :

تعلم ، كل الناس تحب الأغطية ، كل العالم ممتلئ بالأغطية والسُتُر المختلفة كل شخص يحب نوعاً من الستار، الكذب أيضا نوع من الستار،ثم ، شعرت أن كل مكان أصبح مغطى بستار أسود ،وشعرت أن ذلك النقش الصغير بحجم الإصبع الذي كان على ذلك الستار ويصور رجلين أحدهما طويل، والآخر قصير ، شعرت أن ذلك القصير : هو أنا .

(٣) پیرزنی که در انتظار بود " السيدة العجوز التي كانت منتظرة " [١]

تبدأ القصة بشاب يعبر من أمام منزل سيدة عجوز، جلست بجانب نافذة بيتها مثل كل يوم ، وهي حزينة ومغتمة ، فسألها قائلا : أيتها العجوز ماذا تفعلين ؟

فأجابت : كيف حالك أيها المجنون العزيز ؟ فأجاب : أنا بخير .

فقالت: أقبل، وأعطتنى غذاء وبينما كنت منشغلا بالطعام وجدتها حزينة ، وتنظر من النافذة ،فسألتها لماذا تجلسين كل يوم بجوار النافذة وتنظرين هكذا ؟ ، هل تنتظرين شخصاً ما ؟ أجابت : نعم أنا أنتظر

[١] – رهنورد زرياب : پیر زنی که در انتظار بود صـ٣١

أختي هي سوف تأتي بعد هذه السنوات الطوال ، أنا أنتظرها ؛ ولـذلك أنظف البيت من أجلها .

فقال الشاب في نفسه : يا لك من بلهاء !

(وكان الأطفال الصغار من خلفه يقولون بأصوات عالية :المجنـون العزيز،شجرة توت بلا ثمر)

مر يومان وأنا لم أذهب إلى سيدة العجوز ،و في اليوم الثالث ذهبت إليها ، فسمعتها تتحدث مع شـخص آخر،فناديتهـا : أيتهـا العجـوز، فخرجت وهي متألقة ، ثم جاءت سيدة أخرى عجـوز نحيفـة ،والشـر يتطاير من عينيها ، ولقد خفت من عيونهـا ،وكأنهـا أرادت أن تهـدد الجميع ،وكانت السيدة العجوز سعيدة ، وأمسـكت بيـد أختهـا بشـدة ،وقالت: أنا الآن لست وحيدة ، ولم أذهب مرة أخـرى إلـى السـيدة العجوز .

وذات يوم في وقت الغروب مررت بجانب بيتها ، فسـمعت صـوتاً حزيناً ومغتماً وهو يناديني: أيها المجنون العزيز ، أدرت وجهـي لأرى من يناديني وجدتها السيدة العجوز ، وهي في غاية الحـزن، وعيونهـا ممتلئة بالحسرة والدموع .

فسألتها عن أختها ، فقالت : ذهبت وتركتني ، سألتني عن أمـوالي فقلت لها : لا أملك شيئاً .

قالت السـيدة العجـوز لـي : أقبـل ، أنـا أريـد منـك شـيئاً . فذهبت فأعطتني حبلاً ، وقالت : قم بتعليقى بهذا الحبـل فـي السـقف

قلت لها : هل كنت تنتظرين في النهاية هذا الحبل ؟ قالت : لقد انتظرت لا شئ

قلت لها : إذن إنتظري لا شئ ولا تفعلي ذلك ، وخرجت ، وظلت السيدة العجوز تناديني : أقبل ، قم بتعليقي بهذا الحبل في السقف ،ثم سمعت أصوات الأطفال في الشارع يقولون :

(لقد جُنت السيدة العجوز) .

(٤):مردى كه سايه اش تركش كرد "الرجل الذي تركه ظله"[1]:-

وتدور القصة حول اثنين متلازمين دائماً منذ أن كانا في المهد لا يفترقان ، وهما : - رجل وظله وقد كبرا معاً ، يضحكان ،ويلعبان ،ويأكلان معاً ،حتى تعرف الرجل على فتاة جميلة ، وخرج معها وظله معه لا يفارقه ، وهو سعيد مثله ، حتى أصبح الرجل يعشق هذه الفتاة ، وظله لا يتركه أبداً .

وذات يوم كان الرجل وظله يتنزهان ، وفجأة رأى كلاهما الفتاة ،ويدها في يد رجل آخر ، مشيا في إثرها حتى دخلت الفتاة والرجل منزلاً ،نظر الرجل وظله من النافذة ، فوجدا الفتاة تتكئ برأسها على أرجل ذلك الرجل ويضحكان ، فقال الرجل لظله : أترى ؟ ، قال: نعم ، وفر الرجل تاركاً كل شئ وراءه ، وظله يتبعه ،ووقفا عند جدول ماء

[1] - رهنورد زرياب : مردي كه سايه اش تركش كرد صـ ١٠١

مياهه ساكنه ، وأخذ ينعي حظه ، و ظله يبكي ، قال الرجل : أنا أحمق لأنني وثقت بها، اعتقدت أنني اعرفها جيداً.

فقال الظل : نعم لا أحد يعرف أحداَ حق المعرفة ،وإن البشر مثل الجزر المتباعدة المترامية الأطراف، لا يعرف بعضهم البعض،وفي النهاية يصبحون في عزلة،وهذه هي الحقيقة المريرة ومرة أخرى رأى كلاهما الفتاة ، فذهب الرجل في إثرها ، ولكن ظله أبى ورفض أن يتبعه هذه المرة ، فقال الرجل لظله : أقبل ، سوف أسألها فقط ربما يكون سوء تفاهم ويزول .

فأجاب الظل : لا لن آتي ، أذهب أنت ، فالنتيجة واحدة فى النهاية ، السقوط إلى الهاوية بلافائدة . ولأول مرة يتركه ظله، وبعد تلك السنين التي قضياها معا .

اقترب الرجل من الفتاة وسألها أين كنت ليلة أمس ؟ ، قالت :كنت في البيت أخيط ملابسي ، وأقنع الرجل نفسه أن الفتاه صادقة ،وأنها كانت في المنزل ، وطلب الرجل من الفتاة أن تقسم ألا تتركه مطلقاً، وأقسمت الفتاة ألا تتركه ،وأصبح الرجل في غاية السرور وذهب ظله باكياً.

وقال الرجل : ما أصعب الفرقة والوحدة ! قالت الفتاة : أنا كنت وحيدة أمس ، قال الرجل : أعلم ، وفي مخيلته أنه يجب عليه أن يحارب كي لا تكون النهاية ، كما قال ظله ، " السقوط في الهاوية ".

(٥) باشه ودرخت " الباشق والشجرة " :[١]-

تبدأ القصة بوصف للمكان، يصفه شاب يعيش في زقاق، وفي إحدى جوانبه تبدو شجرة كبيرة ، وجافة منذ قديم الزمان ، وبالقرب من هذه الشجرة يوجد دكان لإسكافي ، مع كل صباح كان يفتح دكانه، ويجلس ، ومع كل غروب كان يغلق الدكان ،وكان هناك رجلان بلا عمل ، كل يوم يذهبان لدكان الإسكافي ، ويجلسان معه ، وذات يوم وجد هذا الشاب الأسكافي حزيناً ،فسأله ماذا حدث ؟ ، قال : لقد هرب الباشق (طائر من الطيور الجارحة) .

وفجأة ضحك وقال : ولكنه سيموت بسرعة ، فقد عقدت في أرجله خيطاً، وإذا جلس على غصن ، أو فرع من الشجرة ، فسوف ينعقد الخيط بأغصان الشجر،وسيظل معلقاً حتى الموت

قلت له :- إنك قاسي القلب .

وقال الإسكافي : لقد كنت أعطيه العصافير الحية ، فكان يقتلها ويأكلها ، ولكنه في النهاية طار وهرب .

وظللت حزيناً طوال الليل أفكر فى الباشق المسكين حتى انتصف الليل، وأنا بين النوم واليقظة، ورأيت أن العالم كله ممتلئ بالخيوط ، خيوط قوية ، ولا يمكن قطعها ، وكانت هذه الخيوط منعقودة بأرجل الناس، وأنا أيضاً كان في رجلي خيط ،نهضت ، وذهبت إلى الخارج ؛ فرأيت الإسكافي قال لى: أقبل ، ألم أقل لك ؟ قلت : ماذا؟

---

[١] - رهنورد زرياب : باشه ودرخت صـ ١٥٩

قال : أنظر ، وجدت الباشق قدمه معلقة في أغصان الشجرة، وكان وجهه مثيراً للشفقة ، وكأنما يقول : أهذه نهايته ؟! ، والإسكافي يضحك ، ويرقص .

قلت لهم : أنتم في أرجلكم خيوط ، وأنا أيضاً ، وبعد ساعة تشابكت الخيوط التي في أرجلنا ، وتعلقنا في أغصان الشجرة الجافة ، حتى أنا أيضا كنت معهم ،ورأيت وجه الإسكافى كان مثيراً للشفقة ، وكأنه يقول : أهذه نهايته ؟ ، وفجأة وقعت عيني على الباشق ، فقلت لنفسي: كيف أتى إلى الدكان ؟ فلاحظت أن لديه خيطاً آخر في أرجله ،وهذا الخيط مقيد في دكان الإسكافى، هذا الخيط كان قد صنع من العصافير التي ما زالت على قيد الحياة .

(٦) كفش ها " الأحذية " :- [١]

تبدأ القصة بالبطل يستمع إلى الأخبار ،سمعت الأخبار في الإذاعة تقول:-

حرب ، أزمة اقتصادية ، مائة شخص لقوا حتفهم في الهند ، بسبب الإعصار، والأمطار الشديدة ؛ فيحاول البطل أن يتخيل ميدان الحرب ؛ فيتذكر صور قديمة من الحرب ، ثم يتبادر إلى ذهنه الإعصار الذي ضرب الهند ،ويتذكر صورة تلك الراقصة الجميلة، ذات العيون البريئة التي رآها في فيلم هندي كانت ترقص بجوار المعبد ، وفجأة ينزل المطر بشدة ، ويهب إعصار شديد ، وطوفان، وتمتلئ عيونها الجميلة

[١] -رهنورد زياب : كفش ها صـ١٦٥

بالخوف،والحرص على الحياة ،وتصرخ وتختفي بين أمواج ذلك الطوفان ،وذكّرته تلك الراقصة وعيناها البريئتان بفتاة كان يحبها،ولكنها ذات يوم قالت: لابد أن تعيش على أرض الواقع ، فإن الحياة مسئولية , وتحتاج إلى الأموال ، وبدون أموال وعمل ، لا تستطيع أن تحياحياة كريمة ، وإمتلأت عيونها البريئة بالخوف ، والحرص على الحياة ، واختفت من حياتي.

فأطفأت المذياع ، والمصباح ، ولفتت نظري تلك الصورة التي كانت على المنضدة ، كانت صورة والدتي ، بإبتسامتها الجميلة ، والورود التي كانت في ملابسها ، تجلس في هدوء فى إحدى نواحي الغرفة ،ونظرت من النافذة فوجدت حذاء صغيراً أسود اللون ، ذهبت بسرعة ، وأخذت الحذاء ،وبكيت كثيراً ويتبادر إلى ذهني مرة أخرى ميادين الحروب القديمة ، ثم صورة تلك الراقصة الهندية ، وفجأة فطنت إلي أن هذه الراقصة هي نفس الفتاة التي أحببتها ،وفاض قلبي بكل ما يتحمله ، وبدأت في الجري ، وجريت كثيراً حتى وصلت إلى مكان بعيد ،وفي ضوء القمر ، كانت المقابر تمتلئ بالبهاء، والأسرار ، وجلست على ركبتي بجوار مقبرة أمي ، ولم أجد الحذاء ، وربما لم يكن موجوداً إلا في مخيلتي ، وشعرت أنني سئمت كل شئ ، وتلك الحروب ، ولا أستطيع تحمل أي شئ ، أردت أن أغط في نوم عميق ، وتمددت في وسط المقابر بجوار مقبرة أمي .

(٧) شام " أول الليل "[١] هذه القصة تخليد لذكرى صادق هدايت [٢]

تبدأ القصة بالحديث عن شاب كان يغط في نوم عميق، وعندما استيقظ كان يتصبب عرقاً، و بدنه يؤلمه ، وحلقه جافاً ، ويشعر بحرارة شديدة في بدنه ، وكأنه يشتعل من الحرارة .

كان وحيداً في المنزل وكان يترامى إلى مسامعه صوت مذياع الجيران ، الذي أحيا في خاطره ذكرى أشياء قديمة، منذ عدة سنوات .

فيقول : فى ذلك الوقت كنت طفلاً صغير السن ، وكل يوم في وقت الغروب كنت أذهب بالقرب من منزل الجيران ، وكان المنزل متواضعاً وضيقاً ، كان يسكن به أسرتان ، وكانت الأم في كلا الأسرتين قد تجاوزت منتصف العمر ، وصارتا على مشارف الكبر والعجز ،واحدة منهما كان اسمها عائشة ، وكانت رجلها اليمنى عرجاء ، وكانت أحياناً

---

[١] – رهنورد زرياب : شام صـ١٦٩

[٢] – صادق هدايت :- (١٢٨١ هـ ش = ١٩٠٣ م) ، كاتب وقصاص ومترجم ، ومفكر إيران المشهور ، كان من موظفي وزارة الخارجية الإيرانية ، وهو أصغر أبناء هدايت قلى خان ، سافر إلى الهند ،وفرنسا و،من أشهر أعماله " رواية بوف كور "البومة العمياء و " سگ ولگرد " الكلب الضال " والتى ترجمت لعدة لغات ، وحصل على عدة جوائز في فرنسا ، وقام بترجمة أعمال كُتاب الغرب المشهورين مثل (جان بول سارتر) ، ولكنه في عام (١٣٣٠ هـ ش = ١٩٥١ م) ، قام بالانتحار وكان لم يتجاوز ثمانية وأربعين عاماً ، ودفن في باريس
يحى آرين پور : از نيما تا روزگار ما صـ٣٣٣ ، جلد سوم ، چاپ چهارم ،تهران ١٣٨٢ هـ ش

في وقت الغروب تضع المذياع ، وتستمع إلى بعض الألحان الحزينة ، وكانت السيدة الأخرى تخرج رأسها من النافذة ، وتنادى بصوت مرتفع: عائشة عائشة ، أقبلي ، ويأتي صوت من أسفل يجيب : سأتي ، سأتي . وكنت أنظر إلى أسفل البوابة كي أرى تلك السيدة ، ولكنها لم تكن تأتى مسرعة أبداً ، لا أعرف ماذا كانت تفعل ؟ ، وبعد مرور وقت طويل تأتي بخطواتها العرجاء ؟ وعندما تصل إلى أعلى ؛ كانت تجلس بجوار النافذة ؛ وتبكي ، وتنعي حظها ، ولم أكن أعرف لماذا كانت تبكي؟ وكانت السيدة الأولى :- تهدأ من روعها وتقول لها تلك هي الدنيا .

وشعرت وكأنما الغرفة التي أنا بها الآن، هي ذلك المنزل الضيق وأنني مازلت طفلاً صغيراً ، وأشاهد تلك المرأة بالفعل ،كنت مستلقياً على السرير ، وأتصبب عرقاً ، وقلبى يخفق بشدة ، وأشعر بنهجان شديد ؛ شعرت بالضعف ، وعدم القدرة ، وتذكرت أشخاصاً آخرين حزناء ، ذلك الرجل النحيف ، ذا النظارة البيضاء ، وهو يتمتم بأشعار حزينة ، وعائشة تبكي ، ويقوم الشاب بصعوبة من على فراشه، ليغلق النافذة ، حيث الرياح الشديدة التي حملت الأمطار داخل الحجرة ،وعم الظلام أرجاء الغرفة ، وشعرت بالوحدة ، وشعرت أن عائشة وذلك الرجل النحيف جلسا بجوارى يبكيان وأنا أيضاً أرتدي نظارة ، وشعرت أن أحداً يُسري عني ،ويقول لى :- إهدأ ، إهدأ، هكذا الدنيا ،ونظرت حولي فلم أجد سوى الظلام والوحدة ، وشعرت أني أتلاشى في ذلك الظلام ، في أمواج الوحدة الصامتة .

(٨) شاه غزل "ملك الغزل " [١]:-

تبدأ القصة بشاب يحكى لنا أنه سمع صوت غناء جميل لم يُسمع مثله من قبل، فيقول : استمتعت به ، وشعرت بالدفء ، ولم يكن ذلك الصوت يشبه أي صوت آخر ، لم يكن صوتاً ، كان شيئاً آخر، ولكني مجازاً أطلق عليه صوت ،فليس لدي كلمة أخرى أعبر بها عنه سوى ذلك ،أول مرة عندما سمعته كان يوماً ممطراً ، وأنا كنت في غرفتي الصغيرة وحيداً مثل كل يوم ، سمعت أصوات ضحكات سعيدة لرجل ، أو ربما كانا رجلان ، فألصقت وجهي بزجاج النافذة كي أراهما ، ولكني لم أستطع رؤيتهما ،وفجأة سمعت ذلك الصوت يقول : كيف يستطيعون الضحك و السحب تبكي ؟وذهبت إلى فراشي ، وكأن أصوات الضحكات تأتي من بعيد ،ففتحت النافذة وقطرات الأمطار غسلت وجهي وصدري ، وصرخت بكل قوة ، كيف تستطيعون الضحك والسحب تبكي ؟ ثم خلدت إلي النوم ،وعندما استيقظت من النوم، سمعت هذا الصوت يقول: " أنا لحن بلا صوت " ، لا أعرف كيف يستطيع أن يكون لحناً بلا صوت؟ ،ثم ذهبت مسرعاً من المنزل ، وكانت السماء ملبدة بالغيوم ، وكان حذائي قد تبلل ، والتصق بالماء ، والطين وبعدت كثيراً ،وفي النهاية اقتربت من مقهى ، وكنت متعباً جداً ، ذهبت داخله ووجدت أريكة فجلست عليها وكان هناك ثلاثة أشخاص يتجاذبون أطراف الحديث ،ورجل آخر يضرب على الطنبور ، وكان الضوء خافتاً ، وأتى النادل فسألني : ماذا أحضر لك ؟ قلت : شاى أخضر، ونظرت على

[١] – رهنورد زرياب : شاه عزل صـ١٧٥

الحائط، فوجدت صورة لرجل عملاق قد رسمت على الحائط ، كان يحارب كائن عجيب ، كان الرجل عملاقا ، وعيونه كبيرة وقده غير متناسق ، كان يبدو مضحكا ، مضحك جداً.

ورجعت إلى البيت متأخرًا وذهبت للنوم ،وفي الصباح وجاء أبي كعادته، وكما هو عليه دائما ذا وقار وجدية وصلابة ،وجلس بجواري ، وقال :أمس جئت متأخراً ،قلت :نعم كنت قد ذهبت للتنزه ، قال : لو لم يكن اليوم الجمعة ، لذهبت إلى عملك متأخراً .

ثم قال :هل تعرف من سيأتى اليوم ؟ قلت: من؟ قال : يأتون لخطبة أختك ،قلت : نعم أعلم ، قال : فكن مستعداً الساعة العاشرة ،وذهب .

وفى تمام العاشرة ، أتى للخطبة أربعة أشخاص ، لم يكن فيهم شيئ جاذب ، ولكنهم كانوا يتحدثون بتكلف وتصنع ، وكانوا ملتحيين ، وكانت الغرفة بالنسبة لي خانقة ،وشعرت بالوحشة وذهبت إلى غرفتي ، ونظرت من النافذة ، وكان الهواء ملبداً بالغيوم ،وأتى أخي وقال : إن أبي يريدنى ، فذهبت إلى هذا الجو الخانق ،وقلت بصوت مرتفع :-

الجمال مستعدة ،ولكن ليلى ليست موجودة،

قال أحدهم : صحيح ، ولكننا بعدنا عن الموضوع .

ثم قلت :- ولكن صار الوقت متأخراً ، لقد ماتت ليلى .

وفجأة سكت الجميع وسعل أحدهم سائلا :- ماذا تقصد ؟ هل يمكن أن توضح ؟.

فقلت : نحن فى انتظار مسافر، ولكنه أبداً لن يعود ،وأنتم في إنتظار مَن ؟ .

فسأل الحضور لأبى : ماذا يقول هذا الشاب ؟ وقال أبى بعصبية : هل جُننت ؟ .

فقلت :- أنا أقول غزلياتي .

فنهض أبي وأمسك بيدي ، وأخرجني من الغرفة ، وصفعني على وجهي، فجريت خارج المنزل وكانت السماء تمطر ، وظللت أجري لمدة، وطويت الطرق الطوال ، حتى وصلت إلى أسفل جبل فوقفت ،وشعرت بالتعب ، والعطش، وكان كل شئ جافاً ، ووجدت نفسي في المقابر ، أمام مقبرة أمي، وجلست على ركبتي ، وملست على أحجار المقبرة بيدي ، كانت باردة ، وقد غسلتها الأمطار، ونظرت يميناً ويساراً ، كان الظلام حالكاً ، ونظرت خلفى فوجدت آثار أقدامي وقد غسلتها الأمطار ، واستنشقت الهواء العليل ، وصرخت قائلا : أيها المستقبل ، أريد أن أنساك ،وسمعت صدى صوتي ،وكأنه انعطف في الجبل ، وعاد مره أخرى،أيها المستقبل ، أريد أن أنساك ، وشعرت أنني أصبحت أكثر راحة، ووضعت رأسي على قبر والدتي، وهمست : أمى ، أمى ، أين ملك غزلياتي ؟

المبحث الرابع

تحليل لقصص المجموعة

تتميز القصة القصيرة عن بقية الأنواع القصصية بأنها تنحصر في موقف محدد ، أو تصور لحظة معينة ، ينفعل بها الكاتب ويعبر عنها في حادث معين [١] ،وهي قد تصور حدثاً كاملاً له وحدة ، ومع ذلك تظل قصة قصيرة من ناحية الحجم فقط ، وليس من ناحية الشكل ، ومن أجل أن تكتمل للقصة القصيرة مقومات الشكل يجب أن تصور حدثاً كاملاً يجلو موقفاً بعينه . وكاتب القصة القصيرة ينظر إلى الحدث من زاوية واحدة ، وليس من عدة زوايا ، ويلقي عليه ضوءاً معيناً ، وليس عدة أضواء ، وهو يهتم بتصوير موقف معين في حياة فرد أو أكثر ، لا بتصوير الحياة بأكملها ،فالذي يعنيه أن يجلو هذا الموقف ، أي أن يستشف منه معنى يريد إبرازه للقارئ[٢] ،والقصة الجاذبة من الأفضل أن تبدو واقعاً ، كحياة واقعية تتحرك حولنا دون إطالة تدفع الملل عن نفوس القراء ، وإلى جانب ذلك لابد أن تجعلنا نغوص بالفكر والخيال مهما كانت واقعية وموجزة [٣] .

والتجربة الاجتماعية بالنسبة للكاتب هي : تلك التي يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطه الاجتماعي،أوالإنساني المعاصر،وهو في تصويره

---

١ – عباس خضر :– القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها ، صـ٧٤ ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٢ – رشاد رشدي :– فن القصة القصيرة ، صـ٩٥ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .

٣ – د/ الطاهر مكي :– القصة القصيرة ، دراسة ومختارات ، صـ٦٨ .

لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة، والخيال كما يعتمد على قراءة ما صوره الأدباء الآخرون من تلك التجارب ،وقد يستطيع بخياله أن يتصور الواقع ، وأن يجسده على نحو يبرز الحقيقة في قوتها [١] .

وفي هذا المبحث من الدراسة سوف نناقش الجوانب الرئيسية في البناء القصصى عندالكاتب : رهنورد زرياب " ، وقد راعيت فى هذا القسم التركيز على عدة جوانب فنية أهمها :

الحدث ، الشخصية ، واللغة

كما سنناقش صورة المرأة وعلاقتها بالرجل ،وكيفية تناوله لها من خلال المجموعة القصصية.

أولاً : الحدث :

يقوم الحدث على الأشخاص وتفاعلهم مع بعضهم البعض،فإن جاءت محاكاة الأشخاص ناقصة ؛جاء الحدث ناقصاً ،وبالتالي انعدمت الواقعية، وبداية القصة لابد أن تكون شيقة ،تثيراهتمام القارئ ، وتشده إلى القصة ، وربما كان عنوان القصة هو بدايتها [٢].

والنهاية في القصة القصيرة هي لحظة تنوير يكتمل بها معنى الحدث ، والواقع أن النهاية في القصة القصيرة من أهم الأشياء التي تميزها عن الرواية ، فكل ما فيها يؤدي بالضرورة إلى نقطة تنوير [٣] .

---

[١] – د/ محمد مندور :– في الأدب والنقد ، صـ ١٥ ، بدون تاريخ

[٢] – يوسف الشاروني :– القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً ، صـ٧٠ ، ١٩٧٧م .

[٣] – د / رشاد رشدي :– فن القصة القصيرة ، صـ١١٢ ، ١٩٦٤ م

والقصة لا يمكن أن تخلو من عنصري الفعل والـزمن ، أي الحـدث ، ومجموع الأحداث في القصة هو ما يمكن أن يطلق عليه اسم " موضوع القصة " .

والكاتب الذي يؤثر عنصر الحدث على غيره من العناصر، ويجعلـه هو الأساس الأول في البناء القصصي ، يطلقون على ذلك النـوع مـن القصص اسم " القصة السردية [١].

والبيئة التي تتحرك بين أرجائها هذه الأحداث لها مظهران همـا : (١) بيئة مادية : بمظاهرها المكانية والطبيعية،وقد يلجأ القصاص إلـى وصفها وصفاً سردياً ؛ لمجرد تبيان أن أحداث القصة جرت فيها .

(٢) بيئة معنوية:وهي التي لا تكتفـي بالمظـاهر الطبيعيـة،وإنما تضيف إليها مجموعة من العادات ،والتقاليد ، والموروثات التي نتجـت عنها ، والبيئة بمفهومها المعنوي غالباً ما تكون هي المسيرة لأحداث القصة ، والموجهة لنتائجها [٢] .

وإذا لم يقنعنا البناء القصصي للأحداث بتكوينه وتسلسـله خطـوة خطوة ، من أول القصة إلى آخرها ؛ فإننا لن نقتنع بالنتيجة مهما كـان شأنها .

فالحدث :هو المحور الرئيس الذي تدور حوله القصة، وتبني عليـه درجة واقعية الحدث ،ومستوى معقوليته ،وقدرة الكاتب في تجسـيده ،

---

[١] – د/ محمود زهي :– تذوق الأدب ، طرقه ووسائله ، صـ١٤١ ،١٤٢ ١٩٨٩ م

[٢] – د/ محمود زهي : المصدر السابق :– صـ ١٥٦

وتصويره ، وبلورته ، والزمن الذي يستغرقه الحدث و مدى تلازم حركة الشخصية بتصاعد الحدث .

وقد نال رهنورد زرياب شهرته من خلال كتاباته القصصية المتميزة، فهو صاحب أسلوب أدبى متميز ، والحدث في هذه القصص من العناصر الفنية الهامة للغاية .

وقد تميزت أحداثه بأنها أحداث نامية متدفقة ، وسريعة ، ومتلاحقة، دارت في إطار واقع اجتماعي، سيطرت عليه بعض المشاكل الاجتماعية التي عبرعنها الكاتب تعبيراً صادقاً وحياً التقط أحداث قصصه من داخل هذا الإطار الاجتماعي ، ورسمها بكل عناصرها ،ونقلها في صورة قصصية متميزة ، والمواقف التي عرضها الكاتب في مجموعته القصصية مواقف عادية مألوفة ، ولكنه فجر من خلالها قضايا اجتماعية متعددة ،وقد اهتم الكاتب زرياب بالمكان الذي تناولته قصصه ، فرسمه بصورة واقعية أعطت للحدث القصصي قدراً كبيراً من المنطق ، فعنى بتصوير مفردات المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات ، وكان للمكان من القوة المؤثرة في حياة شخصياته التي عرضها لنا ، مما منح القارئ قدراً واسعاً من الإحساس بصدق صورة و واقعية حدثه .

<u>الزمان والمكان وبداية القصص :-</u> نجده في أولى قصصه "خنده تلخ شب "أي "ضحكات الليل المريرة " :جعل منتصف الليل هو زمن القصة ، وهي تدور في فصل الشتاء ، وصور لنا الشارع في بداية القصة ، وهو في ظلام حالك ، وخال من الناس ، سوى بطل القصة الذي كان يشعر بالملل من تلك الوحدة ، وذلك الظلام الحالك ، فالشارع يدور فيه القسم الأول من القصة ، ونراه في قصته "پرده " أي

الستار:- أيضاً قد اختار منتصف الليل زمناً للقصة، وجعلها في فصل الصيف الحار ، وأيضاً الشارع بجوار متجر الأقمشة كان هو المكان الذى تدور فيه القصة بأكملها .

وفي القصة الثالثة "پير زنى كه در انتظار" بود أي "السيدة العجوز التي كانت منتظرة" : يختار زمن القصة عدة أيام بأكملها ليلها ونهارها ، أما مكان القصة كان يدور في بيت تلك السيدة العجوز، أو في نافذة تلك السيدة ، والشاب يقف في الشارع .

وتماثلها " القصة الرابعة :"مردى كه سايه اش تركش كرد " أي " الرجل الذي تركه ظله ": يختار الكاتب زمن القصة عدة أيام بأكملها بالليل والنهار،والمكان يدور في الشارع .

وفى القصة الخامسة "باشه ودر خت " أي الباشق والشجرة : نراه يختار الصباح بعد صلاة الفجر زمناً للقصة ، وجعل دكان الإسكافي هو مكان القصة .

أما عن القصة السادسة: كفش ها " أي "الأحذية " فكان الليل زمناً للقصة، وكانت أخيلة البطل هي مكان القصة ، وتدور في فصل الشتاء وقت نزول المطر وفي القصة السابعة " شام" أي " أول الليل " : جعل الليل زمناً للقصة ، وكانت غرفة البطل هي مكاناً لأول القصة ، ثم جعل أخيلة البطل هي مكان القسم الثاني من القصة .

وفى القصة الأخيرة " شاه غزل " أي "ملك الغزل ": جعل بداية القصة فى النهار وقت المطر والغيوم ، فنرى في تلك المجموعة القصصية تشابه بالمكان الذي تدور فيه الأحداث ، فنجده يبدأ القصة

،في الأغلب في الشارع ، وجعل الزمان في الأغلب الليل ، وفـــى أكثـــر القصص كانت السماء تمطر ، بمعنى أنها كانت تدور أحداثها في فصـــل الشتاء ، إلا قصة واحدة كانت تدور فى الصيف الحار؛ وذلك يوضح لنا تأثر الكاتب بالمناخ في أفغانستان ، فالمناخ هناك في فصل الشتاء شديد البرودة وكثير المطر .

النهاية عند زرياب :فهي نابعة من التطور المنطقي للأحـــداث الذي سبق أن خُطط بعناية تعكس صدق تصوير الواقع، فـــإذا نظرنـــا للقصة الأولى " خنده تلخ شب " أي "ضحكات الليل المريرة ": نفهم مـــن نهاية القصة أن البطل كان يحلم ، وأنه استيقظ من الحلم علـــى الواقـــع المؤلم ،والمستمر الذي يعيش فيه ، فلم يجد سوى الوحدة وظلام الليـــل الحالك .

وتتشابه نهايتها مع نهاية قصـــة " باشـــه ودرخـــت " " الباشـــق والشجرة "،فهي أيضاً تحكى حلمًا قد رآه صديق الإسكافي ،وهذه النهاية بالنسبة للقارئ هي نهاية مقنعة، فكيف يقوم البطل بمســـاعدة الســـيدة الفقيرة وابنها ، بعدما استنجدت به،ويساعدها في التنقيب والبحث عـــن الذهب وفي النهاية يسرقهم !،فكانت النهاية بأن يستيقظ البطل بمعنـــى أنه كان يحلم ، وهي نهاية مرضية للقارئ ،وتوضح بعض المبادئ غير الأخلاقية ، حتى وإن كانت في الحلم .

حيث يقول الشاب : تأبطت الوعاء الخزفي المملوء بالذهب، وجريت مسرعا صوب بوابة الزقاق، والسيدة الباكية تصرخ علي أين تـذهب ؟ ولكنني جريت وجريت[١] .

وهناك تشابه في نهاية قصتي :" كفش ها " أي"الأحذية " وقصـة " شاه غزل " "ملك الغزل" فكلتا القصتين تحكي شخصاً يفتقـد والدتـه ، وفي نهاية القصة يذهب مسرعاً إلى المقابر، فلا يجد راحة إلا بجـوار قبر أمه .

ونهاية قصة "مردى كه سايه اش تركش كرد " أي "الرجـل الـذي تركه ظله"هي نهاية مقنعة فالكاتب يريد أن يوضح للقارئ أن هناك أناساً مهما كنت صديقاً لهم ، ملتصقاً بهم كظلهـم، ومهمـا أخلصـت إلـيهم فسيأتي يوم ويتركونك .

ومن خلال أحداث قصصه تعرض رهنورد زريـاب ، إلـى بعض العيوب التي تفشـت فـي المجتمـع و المبـادئ غيـر الأخلاقية، منها على سبيل المثال :-

[١] – ظرف سفالين رازير بغل گرفتم وبه سوى دروازه كوچه دويدم ،زن زارى كنان ، گفت :- كجا مى روى ؟
ومن دويدم ودويدم (رهنورد زرياب :- مردى كه سايه اس تركش كرد ، قصه : خنده تلخ شب صـ ٢٣)

١ – <u>دفن الأب للذهب</u> :اشترى الأب قبل وفاته بكل أمواله ذهباً، ودفنه في أرض المنزل بدون أن يُعلم زوجته ،فهي بلا أموال ،ولا عائل يعولها،وابنها مريض ولا تستطيع معالجته، أو احضار الطبيب له .

ويتضح ذلك عندما سألها الشاب عن الطفل هل هومريض ؟ ولماذا لا تحضري له الطبيب ؟ ، أجابت أنها ليس لديها أموال ، فسألها، أين والده ؟ فأجابت : مات[١] وأضافت ، قبيل وفاته اشترى بكل ما كان يملك من أموال ، ذهباً ودفنه في زاوية بالمنزل .

٢ – <u>السرقة</u> في قصة " پرده " " الستار " وفيها يحكي الرجل أنه ذهب ذات يوم خارج المنزل، وعندما عاد لم يجد الغطاء الخاص به ، وبحث هنا وهناك ،فلم يجده ،وفهم أن أحدهم سرقه ، ومن يومها و حتى الأن لم يستطع النوم براحة وهدوء [٢] .

---

[١] – بچه بيمار است ؟ زن پاسخ داد :– بله ، چرا پزشک نمی آوری ؟ زن گفت، پيسه ندارم ، پرسيدم ، پدرش کجا پاسخ داد : مُرده ، بعد افزود : پيش از مردن ، هرچه پيسه داشت ، همه با طلا خريد ودر گوشه يي از حويلی گور کرد.(رهنورد زرياب ، مردی که سايه اش ترکش کرد :– قصه خنده تلخ شب صـ٢١) .

[٢] – يک روز ، اين پرده را کسي دزديد من به خانه نبودم ، وقتی برگشتم ، ديدم که پرده راد دزديده اند ، هرچه جست وجو کردم نيافتمش ، از آن روز تا کنون خواب آرامی نکرده ام .

فهو يوضح لنا كثرة الأقنعة ، وأن الدنيا ممتلئة بالكثيرمن الأغطية والسُتر، المختلفة ،وأن كل شخص يرتدى نوعاً من الستار ويحبه ، فالكذب نوع من الستار والسرقة نوع ..... [١] .

٣- عدم احترام الأطفال للكبار : فى قصة " پيرزنى كه در انتظار بود " أي " السيدة العجوز التي كانت منتظرة ":جرى الأطفال في إثر الشاب ، ينادونه بصوت مرتفع ، المجنون العزيز ، توت بلا ثمر [٢]، وأيضاً نداؤهم للسيدة العجوز بأنها أيضاً أصبحت مجنونة قائلين : السيدة العجوز قد جُنت ..... السيدة العجوز أيضاً قد جُنت [٣].

٤- عدم الترابط بين أفراد الأسرة : حب النفس والبحث عن المال ، حتي بين أفراد الأسرة الواحدة ،أخت السيدة العجوز تركتها عندما سألتها عن الأموال ، فلم تجد لديها مالاً فهجرتها ، فقد سألها الشاب عن أختها فقالت : أنها تركتها [٤] .

همه مردم پرده رادوست دارند ! جهان پراز پردهای گوناگون است ،هرکس یک نوع پرده را دوست دارد ، دروغ هم یک پرده است.....(رهنورد زریاب ، قصة پرده صـ ٣٠).

[٢] - آواز کودکان ، از دنبالم بلند می شد :دیوانه جان دیوانه ..... سرتوت بی دانه! . رهنورد زریاب ، قصة :- پیرزنی که در انتظار بود صـ ٣٤ .

[٣] - کودکان می گفتند :- پیرزن دیوانه شده ..... پیر زن هم دیوانه شده (قصه پیرزن :- صـ ٣٧)

[٤] - پرسیدم :- خواهرت راچی کردی ؟ پاسخ داد :- رهایم کرد ورفت ، گفتم چرا رفت ؟ پیر زن گفت :- پرسید که پی‌سه هام کجا هستند ؟ گفتم که ندارم واو رهایم کرد ورفت .

=

٥- اليأس : الذي تملك من السيدة العجوز ،فقررت الانتحار ، ونادت السيدة العجوز على الشاب ، وقالت له: أقبل إنى أريدك ، وعندما دخل بيتها أخذته إلي غرفتها ،وأعطته الحبل وطلبت منه وهي باكية مغتمة ، أن يقوم بتعليقها بالحبل في سقف الغرفة ،أي أن يقوم بشنقها " [١] .

٦- الخيانة والكذب: في قصة "مردى كه سايه اش تركش كرد " أي "الرجل الذي تركه ظله" ، نرى أن البطل أحب فتاة وهي أيضاً أحبته ، ولكنه ذات يوم كان يتنزه مع ظله فوجد الفتاة وهي بصحبة شاب غريب،وعندما سألها عن ذلك اليوم ، أجابت أنها كانت في المنزل ، وكانت تخيط الملابس [٢]،وفي القصة يصف الفتاة بأنها(دختر عشوه كنان) أي: بنت لعوب ، فهي بجانب خيانتها له فهي أيضا كاذبة .

=

رهنورد زرياب :- قصة پير زنى كه در انتظار بود صـ٣٦ .

[١] - پير زن گفت :- بيا ، با توكار دارم .

به خانه اش رسيدم وبه درون رفتيم ، پير زن مرا به اتاقش برد ، درآن جا ريسماني رابه دستم داد ، پرسيدم :- اين را چى كنم ؟ پيرزن به گريه درآ مد و گفت :- مرا از سقف حلق آويز كن .

رهنورد زرياب :- پيرزنى كه در انتظار بود صـ٣٦ .

[٢] - مرد ، دختر را ديد كه با جوانى ناشناس دست درست راه رود روزى بعدش ، مرد از دختر پرسيد :- ديشب كجا بودى ؟ دختر عشوه كنان ، پاسخ داد : خانه بودم ، خياطى مى كردم .

رهنورد زرياب :- قصه مردى كه سايه اش تركش كرد :- صـ١٠٢ ، ١٠٣

٧- قسوة القلب والأساءة إلى الطيوروالحيوانات:فى قصة "باشه ودرخت"(الباشق والشجرة)إن الإسكافي وضع القيد في أرجل الباشق ، وعندما اكتشف أنه هرب منه،ضحك وقال : إنه مهما فر وهرب ، فإن القيد الذي وضعه في أرجله سوف ينعقد، ويلف على أي غصن أو فرع يقف عليه ، ولن يستطيع الخلاص ، وسيظل هناك حتى الموت [١].

٩- الارتباط بالمادة:في قصه "كفش ها"أي "الأحذية "،نجد الفتاة التي كان البطل قد أحبها، تتخلى عنه وتقول له:يجب أن تكون واقعياً ،الحياة بلا مال، سوف تكون مريرة، [٢]وتركته في النهاية .

١٠- التصنع والتكلف :- نرى الكاتب في قصة " شاه غزل " أي " ملك الغزل "، يصور لنا بعض العيوب التي سادت بين الناس وهي: التصنع والتكلف فى الحديث ،والتجمل لكي يبدون في صورة أفضل مما هم عليه في الحقيقة ، وأشار الكاتب إلي إن البعض يتظاهر بأنه متدين

---

[١] -پينه دوز گفت :- باشه ام گريخت ورفت ،بلند بلند خنده راسر داد ، گفتم چرامی خندی ؟ گفت : برای اينكه باشه به زودی می ميرد كفتم چرا :- پاسخ داد برای اين كه آن رشته يي راكه به پاش بسته بودم ، هنوز به پا دارد ، روی هرشاخه بانزديک هربوته يی كه بشيند ، رشته پايش درشاخه با بوته می پی‌چد واو برای هميشه همان جا می ماند رهنورد زرياب ، قصة باشه ودرخت صـ ١٦٠ .

[٢] - دخترکه دوستش داشتم يک روزبه من گفت :- بايد واقع بين بود ، گفتم منظورت چی ؟ گفت : بايد پيسه دارشد ، بدون پيسه زندگی به تلخی می گذرد ، بس ازآن روز ، دخترکـ ناپديد شد .
رهنورد زرياب ، قصة كفش ها ، صـ١٦٦ .

ويطلق لحيته ،وما إلي ذلك ،لكي يخدع الآخرين باسم الدين ،ومنها حديث الشاب عن خُطاب أخته اللذين أتوا للتقدم لخطبتها ،يقول: إنهم كانوا أربعة شبان أو خمسة ،مثل بقية الشباب ،ولم يكن فيهم شئ يجذب سوى أن حركاتهم وحديثهم كان أكثر تصنعاً وتكلفاً من الآخرين ، ولديهم لحية ،ويرتدون عمامة ، كان المجلس خانقاً، وغير مريح [١] .

١١- قسوة الآباء : في بعض الأحيان يقسو الآباء على أبنائهم،ولا يهتموا بحديثهم ، وأحياناً يصل الحال إلى صفعهم، واستعمال العنف معهم ،وهذا ما أشار إليه الكاتب في قصة " شاه غزل " (ملك الغزل) ، عندما وصف الشاب أبيه أنه كما هو دائماً صلب ،شديد، وله هيبة ، ووقار [٢]،ولكنه لم يصفه كما يصف كل الأبناء آباؤهم بالعطف والمحبة.

عندما أنشد البطل عدة أبيات من غزلياته قائلاً : -

نحن في إنتظار مسافر، ولكنه أبداً لن يعود ،أنتم ماذا تنتظرون ؟

نظر الخُطاب إلى بعضهم وسألوا أبي : ماذا يقول هذا الشاب ؟

---

[١] - خواستگاران خواهرم آمدند ، چار پنج نفربودند ، مثل آدم های دیگر بودند ، چیزجالبی نداشتند ، تنها حرکات و گپ های شان ساخته گی تر از دیگران ، ریش ودستار هم داشتند ، فضای اختناق آوری بود .
رهنورد زرياب : قصه شاه غزل ، صـ١٨٢ .

[٢] - پدرم آ مد ، مانند همیشه سنگین وبا وقار بود .

فقال أبي بغضب :هل جننت ! قلت :- أنا أقول غزلياتي ، فنهض أبى وأمسك بيدي ليخرجني من الغرفة ، وصفعني على وجهي[١].

ومثلما عرض الكاتب النماذج السيئة في المجتمع، عرض لنا أيضاً صورة اجتماعية متكاملة عن حياة الأفغان، يمكن أن تحمل ضمنها العديد من النماذج الجيدة ، ليبث مفاهيم تربوية مفيدة منها :

١-مساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف :في قصة"خنده تلخ شب "أي" ضحكات الليل المريرة عندما بكت السيدة سألها الشاب لماذا تبكين ؟، فتشبثت بعضده ، وطلبت منه المساعدة ، سألها : أى نوع من المساعدة ؟ ، فقالت له : أقبل أقبل ، سأقول لك وذهب فى إثرها ، وعندما علم أن والد الطفل المريض دفن الذهب تحت الأرض في المنزل، سأل السيدة : لماذا لا تخرجي الذهب ؟ قالت لا أعرف أين دفنه ،قال لها : تعالي ،أنا سوف أساعدك [٢]. ٢-الفقر وضيق ذات اليد :- ويظهر

---

[١] - ما در انتظار مسافرى هستيم كه هرگز برنمى گردد ، شما در انتظار كى هستيد ؟ .
خواستگاران سوى هم ديگر ديدند واز پدرم پرسيدند : ابن جوان چى مى گويد ؟.
پدرم با عصبانيت گفت :- تو ديوانه شده اى ! . گفتم :- من غزل هاى خودم رامى خوانم .
پدرم برخاست ، دستم را گرفت كه از اتاق بيرونم كند ، وبا سيلى به رويم زد .
رهنورد زريلب ، شاه غزل ، صـ ١٨٤ .

[٢] - زنى ديدم گريه مى كند ، پرسيدم : چرا گريه مى كنى ؟ از بازويم گرفت وگفت: به من كمك كن .

=

جانب من المجتمع وهو الفقر ،وعدم وجود عائل، في قصة " خنده تلخ شب " ضحكات الليل المريرة " ، فهو يُظهر المرأة التى طلبت مساعدة الرجل ، عندما ذهب خلفها ، ذهب فى أزقة ضيقة ، ومظلمة ، واشتد الظلام ، حتى أنه من كثرة الظلام ؛ لا يرى ظله ،ومن جراء ذلك يقول : إنه لم يستطع أن يلمس شيئاً آخر، سوى السواد الحالك،وكان المكان غاية في البرد الذي يجعل الإنسان يرتعد من شدة البرودة ،وعندما أشارت السيدة وقالت هذا منزلي ، عبروا وهم منحنين الظهر ، ودخلوا منزلاً صغيراً ، وصعدوا الدرج المتهالك ، حتى وصلوا إلى دهليز ضيق ومظلم ، وفتحت السيدة باب الدهليز ، ورفعت السيدة اللحاف القديم الرث، كان هناك طفل صغير نحيف،شاحب الوجه، ويئن من الألم [1] .

=

پرسيدم- چى كمكى ؟ بازويم راكشيد وگفت بيا بيا برايت مى گويم به دنبالش به راه افتادم .

گفتم :- چرا طلا ما رابيرون نمى كشي ؟ گفت :- نمى دانم كجا گور كرده است .

كفتم بيا :- من كمك مى كنم (رهنورد زرياب :- خندة تلخ شب ، صـ٢١ ، ٢٢).

[1] - به دبنالش به راه افتادم ، به كوچه هاى تنگ وتاريكى رسيديم ، سياهى تيره تر شد ، حالى ديگر سياهى را لمس مى توانستم ، سرد بود و آدم را به لرزه درمى آورد .

زن اشاره كرد :- اين جا خانه من است خميده از در گذشتيم به حويلى كوچكى رسيديم ، ازپله هاى درهم ريخته يى بالا رفتيم دهليز تاريكى بود ،زن لحاف ژنده اى را پس زد ، پسركى زير لحاف مي ناليد، نزديک تر رفتم پسرک ، لاغر وزرد رنگ بود. (رهنورد زرياب ، خنده تلخ شب صـ٢٠،٢١) .

ويصف الكاتب في قصته " شام " " أول الليل " : بيت جيرانه بأنه بيت ضيق، متواضع ، و حقير [١] .

٣- إكرام الضيف :في قصة "پيرزنى كه در انتظار بود" (السيدة العجوز التي كانت منتظرة) يقول الشاب :إنه عندما عبر من أسفل نافذة بيت السيدة العجوز؛ رآها جلست بجوار النافذة مكتئبة ، ومغتمة ، وعندما وقعت عيناها عليَ؛ نادتني ،وكأنها تنادي هرة قالت :أقبل، أقبل، تعالى ، أيها المجنون العزيز [٢] ، وعندما ذهبت إلى بيتها ، أعطتني شيئاً لأكله ، وفى نفس القصة عندما كانت تنتظر السيدة العجوز مجئ أختها، كانت سعيدة جداً وقالت للشاب : سوف تأتي أختي بعد تلك السنوات الطوال، سوف تأتي لرؤيتي ، ترى !، أنا أنظف البيت ، من اجل استقبالها [٣]

٤-رفض فكرة الانتحار : في تلك القصة أيضاً عندما طلبت السيدة العجوز من الشاب أن يعلقها بالحبل في سقف الغرفة ، رفض الشاب ،

---

[١] - حويلى تنگ ومحقرى بود .(رهنورد زرياب : شام ، صـ١٧٠

[٢] - وقتى از زير پنجره اش مى گذشتم ، مى ديدم كه كنار پنجره افسرده وغم زده، نشسته است ، چشمش كه به من مى افتاد ، مثل آن كه گربه يى راصدا كند ، مى گفت :- بيا ، ديوانه جان بيا
مى رفتم به خانه اش ، برايم چيزى مى داد كه بخورم (رهنورد زرياب : پيرزنى كه در انتظار بود ، صـ٣٣)

[٣] - پرسيدم ، در انتظار چى كسى هستى ؟ پاسخ داد : خواهرم مى آيد ، پس از سالهاى دراز ، به ديدنم مى آيد ، مى بينى من خانه راپاک مى كنم . رهنورد زرياب ، صـ ٣٣.

وقال لها :هل كنت في انتظار ذلك الحبل ؟ وتركها وذهب من بيتهـــا ، ولم يستجب لطلبها ، ولم يساعدها في ذلك ، على الرغم مـــن تكرارهـــا ذلك أكثر من مرة [١] .

٥-الجزاء من جنس العمل :- في قصة " باشه ودرخت " " الباشق والشجرة " : عندما ربط الإسكافي الخيط في أرجل الباشـــق ،والتصـــق الخيط حول أغصان الشجرة الجافة ،وتعلق الباشـــق مـــن أرجلـــه فـــي أغصان الشجرة ، وكان وضعه مثيراً للشفقة وكأنه يقول :أهذه نهايته ! ونظر جميع الحضور بعيون سعيدة ،وقالوا مبتسمين : جيد ،إن الباشق معلق من أرجله ، ونحن لسنا معلقين ،وعندما نظرت وجدت في أرجلهم خيطاَ مقيداَ بشدة ، وبعد ساعة رأيت الجميع علق من أرجله فى أغصان الشجرة الجافة ، وكان بجواري الإسكافي ، وكان وجهه مثيراً للشفقة ، وكأنه يقول " أهذه نهايته " [٢] .

---

[١] – پير زن مرابه اتاقش بُرد ، درآن جا رايسمانى را به دستم داد ، پرسيدم : اين را چى كنم ؟ .

كفت مرا از سقف حلق آويز كن ! كفتم : پس تو انتظار اين ريسمانى را داشتى؟ .

وازخانه اش برآمدم ، وزن هنوز مى گفت :- مرا حلق آويز كن

(رهنورد زرياب : پيرزنى كه در انتظار بود صـــ٣٦ ، ٣٧ .

[٢] – پينه دوز چون رشته به پاى باشه بسته كرد اومد گفت :-ببين باشه، او را ديدم كه ازيک پا آويزان است رشته يى كه به پا داشت به شاخه درخت خشكيده چسپيده بود ، پرنده وضع رقت انگيزى داشت ، انگار مى گفت : آخرش همين است !.

حاضران :- درچشم هاى شان شادمانى وبه خنده مى گويند :- خوب است كه =

٦-إشارة إلى الموروثات القديمة :- لاحظنا إشارة الكاتب إلى حرب " رستم وديوسفيد " رستم والعفريت الأبيض " ، والتي كانت معلقة على حائط بمقهي وذلك في قصة : " شاه غزل "أي " ملك الغزل "، وعندما سأل الشاب النادل فى المقهى عن الرسم الذي كان على الحائط ، وقال له ما هذا ؟ قال : حرب رستم والعفريت الأبيض [١] .

الكاتب يشير إلى الموروثات القديمة ،ويريد أن يربط الفرد الأفغاني بأجداده و بتاريخه ،فهو يرمز للجذور من خلال تلك الأسطورة التي يعرفونها جيداً ،و يصور لنا أن النادل في المقهى ، يعرف تاريخ أبطالهم القدامى .

٧-صورة المرأة :- الكاتب فى قصة " شام " " أول الليل "، تحدث عن أسرتين، و ربة المنزل في كلتا،الأسرتين قد تخطت منتصف العمر ،وبدا عليها العجزوكانت إحداهما باسم عائشة ويبدو من القصة أنها

=

باشه از پا آويزان است وما ازپا

آويزان نيستيم به پاهای شان ديدم ، همه رشته هايی به پا داشتند رشته های محكمی بودند .

يک ساعت بعد، همه مان از شاخه های درخت خشكيده از يک پا آويزان بوديم ، كنار من پينه دوز آويزان بود ، چهره رقت انگيز داشت انگار می گفت آخرش همين است !.

رهنورد زرياب :- باشه ودرخت ، صـ١٦٢

[١] - شاگرد سماورا چای آورد، به تصوير اشاره كردم وپرسيدم :- اين چی است، پاسخ داد :- جنگ رستم وديوسفيد .

رهنورد زرياب : شاه غزل صـ١٨٠ .

كانت حزينة ،ومغتمة ،دائماً تبكي ،وكانت السيدة الأخرى تسري عنها ، وتقف بجوارها ، وتهدأ من روعها ،كي لا تنخرط في البكاء ، وعائشة توضح صورة المرأة المغلوب على أمرها ،فالشاب في القصة كان يقول:وأحياناً كانت عائشة تجلس بجوار النافذة ، وتبكي منتحبة ،وكانت السيدة الأخرى تهدأ من روعها ، وتقول لها كفى ، كفى ، هكذا هي الدنيا ، وكانت عائشة تجهش بالبكاء،وتقول :لقد مضت هذه الدنيا ،فليحسن الله آخرتنا ، وختامنا [1] .

ويظهر من خلال قصتيه : كفش ها "الأحذية " و" شاه غزل "ملك الغزل ":أنه جعل الأم هي الخلاص من كل ألم ، على الرغم من أن الأم فى كلتا القصتين لم تكن على قيد الحياة ، إلا أن الكاتب جعل حضن الأم هو الملاذ لكلا البطلين ، والذي تمثل في قبر الأم ، فكلا البطلين لا يرى ملجأ له، ولا حضناً يأويه إلا قبر أمه ، فيجري كلاهما في آخر القصة إلى قبر أمه ، البطل في قصة " كفش ها "أي " الأحذية " ، شعر بعدم القدرة على التحمل، وعدم الاستطاعة بالقيام بأي عمل ، وكان يريد أن ينام نوما هادئا ، فذهب إلى قبرأمه ،وتمدد بجانبه[2]

---

[1] – گاهى زن كنار پنجره مى نشست وزار زار مى گريست زن اولى ، آرام آرام ، به او مى گفت ، بس است بس است ، ديگر زندگي همين است ، وعائشة هق هق كنان ، مى گفت : اين دينا كه گذشت ، خداوند آخرت راخوب كند .
رهنورد زرياب : شام ، صـ١٧٠ .

[2] – ديگر قدرت تحمل چيزى را ندارم ، مى خواستم به خواب روم درميان گورستان ، وپهلوى گور مادرم دراز كشيدم .
رهنورد زرياب ، كفش ها ، صـ١٦٧ .

وفي قصة " شاه غزل " " ملك الغزل " حيث ظل البطل يجري حتى وجد نفسه عند قبر والدته وجلس على ركبتيه ، ومسح بيده على أحجار قبروالدته ، وصرخ بصوت عال : أيها المستقبل أريد أن أنساك ، وشعر بالراحة والخفة ، ووضع رأسه على قبر والدته هامساً : أمي..... أمي أين ملك غزلياتي ؟ [1] .

ويتضح من هذا أنه لا يريد المستقبل ، بل هو مرتبط بالماضي لوجود والدته فيه ، فهو يرى في والدته، و ماضيه الخلاص من الحاضر والمستقبل .

ثانيا :الشخصية

تنقسم الشخصيات فى القصة إلى قسمين :-

(١)الشخصية الرئيسية أو (البطل) : وتعد المحور الأساسى الذي تدور حوله أحداث القصة ، وقد رسم رهنورد زرياب شخصية البطل بشكل دقيق، وغير معقد ، فقدمه لنا في صور مختلفة مثل : المرأة العجوز في قصة "پير زنى كه در انتظار بود "السيدة العجوز التي كانت منتظرة، وشخصية ظل الرجل ،في قصة : "مردي كه سايه اش تركش كرد "أي "الرجل الذي تركه ظله " وهى صورة جديدة للبطل لم نعهدها

---

[1] – مدتى دويدم ، ناگهان خودا را سرگور مادرم يافتم ، كنار آن زانو زدم ، وبرسنگ گور دست كشيدم وفرياد زدم :- " اى آينده ، مى خواهم فراموشت كنم " احساس كردم كه سبک ترشده ام ، سرم را برسنگ گور مادرم گذاشتم وزمرمه كردم : مادرم .... مادرم ، شاه غزل من كجا است ؟
رهنورد زرياب : شاه غزل صـ١٨٦

من قبل ،وشخصية الإسكافى في قصة "باشه ودرخت " أي "الباشق والشجرة "،وكونت شخصياته الرئيسية في النهاية صورة اجتماعية متكاملة، وكياناً مستقلاً له أهميته في تحديد ملامح الإطارالاجتماعي الذي أراد الكاتب أن يرسمه في مجموعته القصصية،والمتأمل في صورة البطل وتأثره بالحدث القصصي،وتأثيره فيه ،يلاحظ أن الكاتب قد اهتم بإبراز سمات الشخصية النفسية، والاجتماعية ،من خلال مواجهته للأحداث،وتقاس جودة القصة فنياً ، بمدى قدرتها على تقديم شخصية قادرة على إقناع القارئ بصدق الحياة التي يصورها،والتي يريد المؤلف أن يطرح من خلالها موقفاً فكرياً ورؤية خاصة تجاه هذا الواقع الذي تعيشه هذه الشخصية التي يعرضها على القارئ .

(٢)الشخصية الثانوية :-

هى الشخصية التي تقوم بإدارة بعض الإحداث الجانبية مثل الشخصيات التي رسمها الكاتب: مثل شخصية :أخت المرأة العجوزة ، في قصة " پیر زنی که در انتظار بود " العجوزالتي كانت منتظرة "، وبائع الأقمشة في قصة "پرده "أى" الستار "، والفتاة التي أحبها الرجل في قصة

" مردي كه سايه اش تركش كرد "الرجل الذي تركه ظله، والراقصة الهندية في قصة " كفش ها " " الأحذية "، والرجلان اللذان كانا يجلسان مع الإسكافي في قصة "باشه ودرخت " أي " الباشق والشجرة "، وعامل المقهى ، وعازف الطنبور ، وخطاب العُروس " الأربعة " ، والأب القاسي ، " والأم " ، في قصة " شاه غزل ، وعلى الرغم من وفاتها ، إلا أنها كانت بقبرها تمثل شخصية ثانوية، ومؤثرة فى القصة .

انحصر دور هذه الشخصيات في استكمال الصورة التي أراد الكاتب أن يعرضها ، ولكنها في مجملها شخصيات إيجابية ، وعلى الرغم من ضآلة الدور الذى تؤديه فقد ساهمت في بناء الأحداث والمواقف ،وقد استخدم " رهنورد زرياب "،أساليب مختلفة في طريقة عرضه لشخصياته ، سواء الرئيسية ،أو الثانوية ، فنراه تارة يعرضها من خلال وصف بعض الملامح الخارجية ،أو الداخلية ، وتارة أخرى يرسمها من خلال حركاتها، وتصرفاتها ، ومن ثم فتطور الشخصيات هنا ينبع من تطور الأحداث ،وتفاعلها مع البيئة المحيطة .

ثالثاً : اللغة :

اللغة : هي أداة التعبير الأدبي ، وإن معرفة دورها في عملية الإبداع الفني تحتاج إلى فهمها أولاً ، لما لهذا الدور من أثر عظيم لا يقل عن دور المبدع نفسه ، فإتقان وسيلة التعبير الفنى ضرورة لازمة للإبداع [١].

والصور التي ترسمها لغة القصة عند الكاتب رهنورد زرياب صور سريعة ،تنقل أدق التفاصيل، وقد أبدع الكاتب في رسمه لهذه الصور ، فجاءت معبرة بصدق وواقعية عن الواقع الأجتماعي الذي تحركه أحداث القصة ،والكاتب ولع بالتصوير، والوصف ، فرسم لوحات فنية انطبعت في ذهنه ، ونقلها من خلال لغة بسيطة لا تعقيد فيها ، فكان تأثيرها كبيراً على نفس القارئ .

---

[١] – د/ محمود ذهنى :– تذوق الأدب ، طرقه ووسائله ، صـ٧١ .

وإن الحوار: هو مركز العبارة ، ولم يسمح الكاتب بأي معنى جانبي لا يخدم الحدث الأساسي ، أو الفكرة التي يريد الكاتب أن يُوصلها للقارئ، وتميزت جمل المجموعة القصصية بأنها مركزة وقصيرة ، وغاية في الوضوح ليس بها أي غموض، ترسم لقطات سريعة متدفقة.

واستطاع زرياب أن يوظف اللغة ، ويطوعها ؛ لتعبر عما كان يلح عليه من أفكار،وانفعالات. فإن كلمات مثل : شعرت بالوحدة ، وفى كل مكان كانت الوحدة ، وحدة باردة وقاسية ، الوحدة لونها أسود قاتم [١] ، والتي ذكرها عدة مرات فى قصة : " خندة تلخ شب" أي " ضحكات الليل المريرة "، وأيضاً في أكثر من قصة .

وفي قصة " پيرزنى كه در انتظار بود " أي " السيدة العجوز التي كانت منتظرة " ، والتي كانت دائماً تتحدث عن الوحدة ،وتصف كل من هو وحيد بأنه مسكين .

فالكاتب جاءت جمله واضحة، وقصيرة ، مثل وكم نحن مساكين " أنا وأنت " لماذا ؟ ، أجابت السيدة العجوز: الوحدة ، الوحدة التى نعيش فيها نحن [٢] .

---

[١] – احساس تنهاي كردم ، همه جا تنهاي بود ، تنهاي سرد وسنگين ، تنهاي رنگ سياه دارد .

رهنورد زرياب ، خنده تلخ شب : صـ١٩ .

[٢] – پير زن گفت : من وتوچه آدم هاى بيچاره هستيم ، جوان پرسيد چرا؟

پيرزن پاسخ داد : تنهايى ، تنهايى خودمان . (رهنورد زرياب ، پيرزن كه در انتظار بود ، صـ٣٤)

وقد استخدم أيضاً نفس المفردات التي تعبرعن الوحدة في قصته : "مردى كه سايه اش تركش كرد " أي " الرجل الذي تركه ظله "، في وصف الوحدة التي تملأ كل مكان ، حيث قال : إن أطراف هذا الفضاء مليئة بالوحدة ،في الشمال الوحدة ، في الجنوب الوحدة ،في المشرق والمغرب ، الوحدة في كل مكان [١] .

وإن تلك الجمل التي استعملها بصورة مبالغ فيها داخل المجموعة القصصية ، كلها في إطار فكري محدد ، وهو إطار العزلة والوحدة ، التي أراد الكاتب أن يبرزه ، سواء كانت عزلة نفسية ، أو فكرية ، أو اجتماعية ؛ ليلقي الضوء على ما يعانيه الفرد الأفغاني من عزلة ، ووحدة . ونرى أيضاً الشعور بالحزن الذي وضحه في عباراته التي دبج لها مجموعته القصصية ، ونلحظ ذلك جلياً في قصة "خنده تلخ شب" أي "ضحكات الليل المريرة " : –

الحارس في وسط الحي واقف ،و السيدة وابنها الصغير ، كانا قد جلسا على الأرض ، وأخذا يبكيان ، ثم بدأ الثلاثة في قول واحد بصوت حزين:

---

[١] – اطراف اين فضا همه جا تنهايى است ، درشمال ، تنهايى است ، در جنوب ، تنهايى است ، در مشرق ودر مغرب همه جا تنهايى است .
رهنورد زرياب : مردى كه سايه اش تركش كرد ، صـ١٠٥ .

أي ظالم ضرب البلبل في قدمه فالبلبل يتألم ويئن إلى يوم القيامة[1] .

وفى قصة " شام " " أول الليل " ، نرى حزن عائشة التي كانت دائمة البكاء ، وتشعر أن تلك الحياة زائلة ، وتدعو الله أن يحسن الختام والآخرة .

حتى إن الشاب الذي كان يراقبها من بعيد ، هو نفسه يقول :-

فجأة ، ضرب الألم ،والحزن ، والخوف بأعماق كيانى ، وثار مرة أخرى بداخلي و ثار ، وثار ،ويستطرد قائلاً :وتملكني البكاء ، وشعرت أن شخصاً يهدأ من روعي قائلاً :

كفى ، كفى ، ... هذه هي الدنيا [2] .

وفي عبارات مثل : بجوار قبر أمي جلست على ركبتي [3] ،والتي كررها عدة مرات ، مرة فى قصة " شاه غزل " " ملك الغزل " ، و أخرى

---

[1] - پاس بان در ميانه حويلى ايستاده است ، زن وپسر خردسال ، روى زمين نشسته بودند ومى گريستند بعد هرسه يكـ جا ، با آواز غصه ناكى شروع به خواندن كردند :- كدام ظالم زده درپاى بلبل .
كه بلبل ناله كرده تا قيامت . (رهنورد زرياب :- خنده تلخ شب ، صـ٢٣)

[2] - ناگهان ، غصه وترسى ، در اعماق ضميرمـ جوشيد ، باز همـ جوشيد ، وبازهم جوشيد . گريه امـ گرفته ، احساس كردم كه كسى آهسته دل آسايم مى كند : بس كن ..... بس كن ..... زنذ گى همين است (رهنورد زرياب :- قصة شام صـ١٧١ ، ١٧٣) .

[3] - كنار گور مادرم زانو زدم
رهنورد زرياب ، شاه غزل ، صـ١٨٥ .

في قصة : " كفش ها " أي "الأحذية " وذلك حيث يقول : جلست على ركبتى بجوار قبر، كان قبر أمى [١] .

ويبرز فيها الكاتب ما يعانيه الفرد الأفغاني في المجتمع ،حتى أنه يجد راحته، وخلاصه في الجلوس عند قبر والدته . الكاتب يريد أن يوصل للقارئ أن الأم هي الحضن الذى يحتوينا أثناء حياتها ، وحتى بعد مماتها ،ويتضح ذلك من جمل مثل :شعرت أني أخف، ووضعت رأسى على شاهد قبر أمي[٢] .

وأيضاً :-نرى في قصة " خنده تلخ شب " أي " ضحكات الليل المريرة " ، عبارات قصيرة ، توصل للقارئ مدى فقر السيدة العجوز ، فعندما سألها الشاب عن ولدها لماذا لا تحضر له الطبيب ؟ قالت :- ليس لدى أموال ، وقد استخدم كلمة " پيسه " ، بمعنى المال ، وهي كلمة عامية ، تستخدم فى أفغانستان بمعنى المال .

ونراه يستخدمها أيضاً فى قصة " كفش ها " أي " الأحذية " ، عندما قالت البنت لذلك الذي أحبته : لابد أن يصبح لدينا أموال ، فالحياة بدون مال تكون مريرة [٣] .

---

١ – كنار گورى زا نو زدم ، گور مادرم بود .
رهنورد زرياب ،كفش ها صـ١٦٧ .

٢ – احساس كردم كه سبک ترشده ام ، سرمـ را برسنگ گور مادرم گذاشتم .
رهنورد زرياب :- شاه غزل ، صـ١٨٦ .

٣ – چرا پزشک نمى آورى ؟ زن گفت :- پيسه ندارم .
رهنورد زرياب – خندة تلخ شب ، صـ ٢١ .

=

فالكاتب يبرز للقارئ من خلال تلك الجمل القصيرة ما يتحمله الفرد الأفغاني من فقر ، ومدى شعوره بأن الحياة بدون أموال تكون صعبة ، ومريرة .

فقد تميزت لغة الكاتب بالسهولة ،والبساطة ، فحين يقرأها المتلقي بعينيه تدخل فى قلبه ، وعقله ، وقد رسم صورة واقعية عن المجتمع الأفغاني الذي أراد الكاتب أن يقدمه .

=

دختر گفت :- باید پیسه دار شد ، بدون پیسه زندگی به تلخی می گذرد

رهنورد زرياب : كفش ها صـ١٦٦

الخاتمة

من خلال الأحداث والمشاهد التي عرضها علينا الكاتب رهنورد زرياب في مجموعته القصصية" مردي كه سايه اش تركش كرد " أي "الرجل الذي تركه ظله "،نلاحظ أن نسيج أحداثة ، وبناء شخصياته، يتجاوز الإطار المحدود في نطاق القصة ؛ ليصل إلى نطاق مجتمع كامل .فالكاتب يشعر أن هذا الإطار الاجتماعي الذي يعرضه علينا في أعماله ،ما هو إلا صورة مصغرة من مجتمع أفغاني كبير ، يعاني الكثير من المشكلات الاجتماعية، والنفسية .

وإن شخصيات رهنورد تعد امتداداً طبيعياً لبعضها البعض،فالشخصية الموجودة في كل قصة هي امتداد لشخصية أخري موجودة في قصة أخرى من المجموعة ، مع تغير الاسم ، وتعديل السلوكيات .

معنى ذلك أن الكاتب قدم لنا شخصيات كانت قد تكونت في وعيه ؛ فرسم لها ملامح طبيعية ، ونفسية ، وسلوكية مسبقة ،كما أنه قدم أحداثا واقعية ترسبت في أعماقه ، واختزنها إلى أن ظهرت في صورة فنية متمثلة في أعماله القصصية .

ويعكس زرياب في مجموعته القصصية التي قمنا بعرضها ، وتحليلها ، الاستفادة من اتجاهات أدبية مختلفة مثل : الاتجاه الرومانسي، ورغم أنه قليل في المجموعة القصصية ، إلا إنه كان موجوداً ، ويتمثل في الحب الذي نشأ بين البطل والبطلة في قصة " كفش ها " أي " الأحذية " ،ورغم أن الفتاة تخلت عنه إلا إنه مازال

يذكرها ،فالفتاة تبنت المذهب الواقعي ،وفضلت العيش على أرض الواقع، وعدم الاندفاع وراء قلبها ،وذكّرته بأن الحياة ستكون صعبة بدون أموال، أو وسائل تمكن لهم العيش بشكل كريم ،ويتضح الاتجاه الرومانسي في قصة " مردي كه سايه اش تركش كرد "أي "الرجل الذي تركه ظله " ، والذي جعل البطل يتخلى عن ظله ولأول مرة ،ويقنع نفسه بأن الفتاة لم تكذب ،ولم تخنه،رغم علمه بأنها كاذبة ولكنه كان يحبها ، وأراد أن يسامحها لكي يستطيع العيش معها .

ويتضح أيضا الاتجاه الطبيعي في تصويره لهذا المجتمع الذي قدمه لنا بكل أبعاده، فتمثلت في رسمه للصور الطبيعية التي قدمها لنا من خلال المجموعة،صوراً لليل، والظلام ،والوحدة ، وأخرى للطمأنينة ، والراحة بجوار قبر الأم .

أما الاتجاه الواقعي والذي يأخذ الجانب الأكبر في المجموعة ،فقد اعتمد الكاتب زرياب ،على ذلك الاتجاه ،وحاول أن يبرز لنا ما يعانيه بعض أفراد المجتمع من ضغوط نفسية ، وشعور بالألم ، والوحدة ،حتي وإن كان يعيش مع أسرته ، ولكنه يشعر بالعزلة ،سواء كانت هذه العزلة نفسية، أم فكرية ، أم اجتماعية ؛ ليلقي الضوء علي ما يتكبده الفرد في المجتمع . واستطاع أيضاً أن يقدم صوراً حية ؛ أعطى من خلالها صورة اجتماعية ،واقعية متكاملة عن حياة المجتمع الأفغاني، وذلك من خلال أساليب مختلفة على سبيل المثال : منها ألاغاني القديمة ، وذكر رستم والعفريت الأبيض ، والعزف علي الطنبور ، فالكاتب يريد أن يذكرهم من خلال قصصه بأباءهم ، وأجدادهم ، وتراثهم ، وتاريخهم

.وحتي في تقديم الشاي الأخضرفي المقهي ،فمعروف عن الأفغان تناولهم للشاي الأخضر بكثرة .

وفي النهاية نستطيع القول إن مجموعته القصصية ما هي إلا لوحة فنية كبيرة ترسم الواقع ، تشعبت منها لوحات فنية صغيرة ، سيطر عليها إطار فكري دارت في فلكه عدة اتجاهات، وكان الاتجاه الواقعي هو المحرك الأساسي لقصص المجموعة .

ترجمة النماذج القصصية

"مردى كه سايه اش تركش كرد "أي" الرجل الذي فقد ظله" .

والمجموعة القصصية :- " مردى كه سايسه اش تركش كرد " ، كتبها بين عام ١٣٤٨ هـ ش = ١٩٧١ م / إلى عام ١٣٥٥ هـ ش = ١٩٧٨ م ، وهى موضوع الدراسة ، تحتوي على ثلاث عشرة قصة قصيرة ،سوف أقوم في هذا المبحث بترجمة " ثماني قصص " من قصص هذه المجموعة .

(١) خنده تلخ شب " ابتسامة الليل المريرة " [١]

كان قد مضي من الليل منتصفه ،كنت ثملاً وأدور في الأزقة ،كنت أتمني ألا ينتهي الليل، ولا هذه الثمالة ، وألا تنتهي الطرق أيضا ، وأن أمشي للأبد ثملاً بين ظلمة الليل هذه والطرق اللا متناهية ،كانت الطرق خالية ، ولاأحداً يُرى ، ولا يسمع حتي دبيب قدماً ، ظلمة الليل ، والجميع نيام ، شعرت بالوحدة ، تملئ كل مكان ، وحدة باردة وثقيلة ، في تلك الحالة شعرت أن الوحدة لونها أسود .

قلت بهدوء : ما هذا اللون الباعث على الملل .

وسمعت ظلمة الليل تضحك بمرارة : كم أنا ممل ! شعرت أن هذا صوت غناء وحدتي ، أغنية ولحن رتيب ، بدا لي أن الوحدة وظلمة الليل تتشابه أصواتهما، أو ربما أصوات كلاهما واحدة.

---

[١] – رهنورد زرياب : مردي سايه اش تركش كرد : خندهء تلخ شب ،صـ١٩، ١٣٩٢هـ ش

مشيت بهدوء وبطئ ، وتلاشت أصوات أقدامي الواحدة تلو الأخرى، في ظلمة الليل ، وضاعت في وحدة الليل ، ثم، ظهر الحارس وسط الظلام ، خرج من تلك الوحدة ، ربما سوء ظنه كان الدافع ورائه ، سأل : أين تذهب ؟

قلت : كم هو ممل صوت الوحدة.

طأطأ رأسه وابتعد ببطئ ، وغرق في الوحدة ، وسط ظلمة الليل ،سمعت صوته ينشد بحزن قائلاً: أي ظالم ضرب أرجل البلبل فالبلبل يتألم و يئن إلي يوم القيامة.

أعتقد أن الحارس لديه شكوة من الوحدة ،كان يشتكي من الظلمة ،وعلي نفس المنوال ،مشيت بهدوء وبطئ ، في وسط ظلمة الليل ، كانت الوحدة في كل مكان حولي ،وحدة مظلمة، بصوت غنائها ولحنها الرتيب ، وبدا الملل الشديد ،ثم ظهرت سيدة عجوز في الأفق من بعيد، وعندما وصلت بالقرب مني ، رأيتها تبكي ،سألت : لماذا تبكي ؟ .

أخذت بساعدي وقالت : ساعدني .

سألت: أي مساعدة تطلبين .

أخذت بساعدي وصرخت باكية : تعالى .... تعالى سوف أخبرك. ذهبت خلفها ، مشينا ومشينا ،كان الطريق طويلاً ، وصلنا في أزقة ضيقة ومظلمة ، وأصبحت الظلمة أكثر قتامة ، وفي تلك الحالة كدنا نلمس تلك الظلمة ،وكان الجو بارداً والذي من شدته يرتجف الإنسان .

قلت للسيدة : تري .... كم هو بارد هذا الظلام !. قالت: نعم ،مثل الوحدة... دقيقاً مثل الوحدة ،ثم وقفت السيدة بجوار بوابة صغيرة ،وقالت:

هنا منزلي ،وعبرنا ونحن منحيون الظهر ، حتي وصلنا إلي بيت صغير، وصعدنا علي الدرج المتهالك ، كان في دهليز مظلم ، قالت السيدة : كم هي مملة تلك الوحدة !

فتحت بابا حجرة ، في الحجرة كانت الشمعة قد وصلت إلي نهايتها، كانت تحترق ،وضوئها الخافت انتثر من حولها ، وبد لي أن الشمعة تذهب صوب الوحدة ، وأنها تبكي ، في ذلك الوقت ارتفع صوتها الحزين قائلة : أي ظالم ضرب أرجل البلبل

فالبلبل يتألم و يئن إلى يوم القيامة.
رفعت السيدة اللحاف القديم الرث ،كان تحته طفلاً صغيراً يئن من الألم، اقتربت أكثر منه ، كان الطفل نحيف وشاحب الوجه ،وقطرات العرق تتلألأ في جبهته .

سألت : هو مريض ؟ أجابت السيدة : نعم

– لماذا لا تحضري الطبيب ؟ قالت السيدة : ليس لدي مال سألت : أين والده ؟ أجابت : لقد مات ،ثم أضافت :قبل موته ، قام بجمع كل ما كان لديه من أموال ، وإشترى بها ذهباً ،ودفنه في زاوية ما بالمنزل .

قلت : لماذا لا تقومي بالبحث عن الذهب وتخرجيه ؟ قالت: لا أعرف المكان الذي دفنه فيه

قلت : تعالي لننقب عنه ، سوف أساعدك .

قال السيدة : حسناً ... حسناً !

فجأة ، نهض الطفل المريض بسرعة وصاح متحمساً : ننقب.... نعم للننقب

صعدنا إلي المنزل ،أحضرت المرأة الفأس،وأنا بدأت في الحفر، وأتي نور الشمعة الخافت من نافذة كان زجاجها مكسورة ،وأضاء المنزل ،ومن خلال هذا النور الخافت رأيت السيدة وإبنها الصغير يحفرون الأرض بقوة عجيبة ، وكانوا ينبشون التربة رأسا علي عقب بعظام أصابعهم

وأنا أيضا كنت أضرب بالفأس بقوة خارقة للعادة ، ومضت فترة من الوقت هكذا .

و فجأة ،ضرب سن الفأس بوعاء خزفي , قلت : يوجد هنا شيئا. جرت السيدة وإبنها الصغير نحوي ،وأخرجت الوعاء الخزفي من وسط التربة، ونظفته بـ كُم ردائي، صرخت السيدة بسعادة ،نعم ...هو .. نفسه .

وأثناء ذلك ، إختفى ضوء الشمعة الخافت ، كانت الشمعة قد إنتهت، ومرة أخرى عم الظلام البارد برجفته كل مكان ،وأعتقدت أن شخصاً ما جلس بجوار الحائط , رأيت أنه الحارس نفسه،ويتغني بصوت حزين : أي ظالم ضرب أرجل البلبل

فالبلبل يتألم و يئن إلى يوم القيامة

لم أعره إنتباهاً ، وضعت يدي داخل الوعاء ، ووصلت يدي إلي النقود

الذهبية ، أخرجتها كانت تلألأ- وضوء لامع وأبيض- كان يسطع منها، ولم أشعر مرة أخري بالظلام البارد ورجفته ولا الوحدة وغنائها ولحنها الرتيب .

وبدا لي أن حرارة ودفء لطيف يأتي من النقود الذهبية ،ويسري في عروقي وأن بريق الذهب أضاء كل ما حولي ، وتزايد ذلك الدفء وهذا البريق ، وصار جسدي كقطعة مشتعلة ،وسمعت صوت ضحكات ، وعندما نظرت صوب الجدار، رأيت الحارس يضحك واضعا يده علي فمه.

وتأبطت الوعاء الخزفي وجريت صوب بوابة الزقاق . قالت السيدة الباكية : أين تذهب ؟ حينما كنت أجري،قلت : كم هي مملة تلك الوحدة ، وعندما وصلت إلي الباب ، أدرت وجهي ألقيت نظرة علي المنزل ، رأيت الحارس يقف وسط المنزل ، والسيدة وإبنها الصغير كان يجلس كل منها في جانب علي الأرض ويبكيان ، ثم بدأ الثلاثة في آن واحد وبصوت حزين يتغنون :أي ظالم ضرب أرجل البلبل

فالبلبل يتألم و يئن إلى يوم القيامة .

وغرقوا جميعا في الوحدة ، و ظلمة الليل ، صرخت : كم هي مملة تلك الظلمة وهذه الوحدة .

لم يجيبوا ، وظلوا يتغنون : أي ظالم ضرب أرجل البلبل. وإنطلقت في الجري بقوة عجيبة في الأزقة الضيقة وطرقها المتعرجة ، وفي النهاية وصلت إلي طريق، هو نفس المكان الذي كنت قد رأيت فيه الحارس ،جلست بجوار شجرة ، كي أبقي قليلاً ، كنت قد احتضنت

الوعاء الخزفي بإحكام ، ثم حل الظلام مرة أخري وأنا غرقت فيه وفقدت نفسي فيه ، وهز شخص ما ساعدي ، فتحت أعيني رأيت ذلك الحارس ، أخذ بساعدي وكان يهزني .

سألت : ماذا تقول ؟ قال : أنت مريض ؟

نهضت ، ولم يكن الوعاء الخزفي موجود ، مشيت في الطريق بهدوء وبطئ ، كل المكان كان مظلم،وكان يترامي إلي الأسماع صوت الأغنية واللحن الرتيب ،وصلت بالقرب من باب حجرتي، كان الباب مغلقا –مثل كل ليلة – كان ينتظرني ومثل كل ليلة ، بد لي أنه يقول : –عدت أيها الحيران المشرد !.

هززت رأسي : ترى .... قد عدت .

كل شئ في الحجرة كان مثل الليالي الأخرى ، كل شئ كان يبث رائحة الوحدة ،وناديت علي فراشي ،وأطفأت المصباح ،واستلقيت علي فراشي ,وهمست :الوحدة والظلمة ، كل مكان وحدة وظلمة ، وشعرت أني أتلاشي شيئا فشئيا ، في ظلمة الليل وأضيع في الوحدة الغامضة، في ذلك الوقت دارت في ذهني أفكار غامضة : كم هي باعثه علي الملل ومن مسافة بعيدة ، سمعت أصوت ضحكات ،كانت ضحكات مريرة ، كانت ضحكات الليل ،ضحكات الليل المظلم،أنا أيضا ضحكت ، سمعت صوت ضحكاتي العالية ،وشعرت ان ضحكاتي لها مذاق مرير ، وأن لون ضحكاتي أسود .

(٢) پرده " الستار" :-[١]

كانت إحدى ليالي الصيف الحارة ، التي تجعل الإنسان لا يستطيع النوم ،وكان الوقت متأخراً، ربما كان قد مضى من الليل أكثر من نصفه، وكانت المصابيح في الطرق تتلألأ ، في ظلام الليل الحار،ويظن الناس أن تلك المصابيح تضخ حرارة وسخونة ، وكانوا يريدون الفرار منها،

وقفت بجوار زجاج دكاناً ، وخلف ذلك الزجاج،كان معلق العديد من الأقمشة مختلفة الألوان وأعلي الأقمشة ،علي السقف هناك مصباح بنفسجي اللون يتلألأ ، ويلقي بضوئه البنفسجي على الأقمشة ؛ فتبدو بنفسجية اللون .

جذب نظري قطعة القماش، ذات النقوش مستطيلة الشكل،ولم يكن واضحا ما هي تلك النقوش و من خلال ذلك الضوء البنفسجي ،لم أَرَ سوى المستطيلات ،والتي كانت تبدو في نسيج القماش البنفسجي، وكأنها قطع من ورق رمادي اللون،مثل فجرا يسري متدحرجا من السماء صوب الأرض، و شعرت ببروده الفجر في نسيج القماش البنفسجي ، وظننت أن هذه الأقمشة سوف تكون جيدة جداً لو استخدمت كستائر، ستائر شتوية .

[١] -رهنورد زرياب : پرده صـ٢٥

وتمنيت لو أن أتخذ من تلك الأقمشة لـــ جدران غرفتي ،وأعلـــق مصباحاً بنفسجياً في السقف أيضاً ، قلت في نفسي : في ذلـــك الوقـــت عندما أكون في وسط برودة الفجر .

وإزداد جمال القماش بإستمرار في نظري ،ولم أكن أعـــرف لمـــاذا يعجبني ذلك القماش؟

وفكرت أن تلك الأقمشة تشبه شيئا ما ،وقلت في نفسي :تشـــبه أي شئ؟، وفجأة سمعت صوتاً من خلفي يقول : أقمشة جميلة .

استدرت وجدت رجلاً ، طويلاً ونحيفاً،وتدلت قبعته القديمة وصـــولا إلي أذنيه،وكان يرتدي معطفاً طويلًا علي جسده، وبـــدا وكأنـــه يشـــعر بالبرودة ، وأطبق يده بإحكام علي ياقة المعطف ، ولم أســـتطع ان أري وجهه جيدا ،وسمعت صوته الحزين مجدداً :

– أتحدث عن نفـــس قطعـــة القمـــاش ذات النقـــوش المســـتطيلة

وأنا أيدت كلامه ، نعم تُذكر الإنسان بالفجر ،وفجأة انفجر الرجل فـــي الضحك ،لم أكن أتوقع من ذلك الرجل الحـــزين مثـــل هـــذه الضـــحكات ،وعلاوة علي ذلك أنا لم أقل شيئا مضحكا ، ونظرت صوب الرجل وجدت رأسه منحينا لأسفل ، ومازال يضحك ومن خلفه الجبال تهتز مثله(من الضحك) ، ونفرت منه .

وأردت ان أذهب إذ فجأة توقف عن الضحك وقال :(ذلك القمـــاش) جيد جداً من أجل الستائر ، أتمني أن أغطـــي جـــدارن غرفتـــي بـــذلك القماش .

وبلا إهتمام بضحكات الرجل المتزايدة ، قلت : سيكون ذلك في وقت الفجر.

وضحك الرجل مجدداً ،وقال : الفجر ... الفجر ... الفجر ! ونظرت صوبه مجدداً ،كان رأسه منحينا لأسفل ،وخلفه الجبال تهتز مثله، وبعُدت عن الدكان، وكل شئ كان حاراً ودافئاً ، والظلام في كل مكان ، والمصابيح تتلألأ، وجال في خاطري مرة أخري ذلك الستار وتذكرت الفجر .

سمعت شخصا يأتي من خلفي ،وجدته نفس الرجل ذو القامة الطويلة النحيف ،تقريبا كان يجري ، وعندما وصل بالقرب مني ، كان يلهث ، وإلي الآن لم أستطع ان أري وجهه ، وقال الرجل بصوت حزين: معذرة... كان الحديث عن الستار ، أليس كذلك ؟

في الجواب عليه أومأت رأسي موافقاً ،وقلت في نفسي :كم هو سمج !ومرة أخري رأيت الجبال من خلفه مثله يهتزون ويضحكون .

سألت : لماذا تضحك ؟ قال : ألم يكن الحديث عن الستار ؟ قلت : نعم ، ولا تنسي الفجر .

ضحك الرجل مرة أخري بصوت عالي ، وأنطلقت في طريقي .

وكان الليل منتشرا مثل بحرا لا نهاية لها ،كل الليل في كل مكان تنظره العين ، واختلطت الحرارة بظلمة الليل ، حراراة الظلمة كانت تموج في كل مكان ، كنت أريد التفكير في ذلك الستار ذا النقوش المستطيلة ، ولكن شعرت أن ذلك الرجل طويل القامة ، يمشي بجانبي ، ولم يضحك ثانية، فقط ــ كأنما كان يشعر بالبرودة ــ وأطبق يده بإحكام

علي ياقة المعطف، وكانت قبعته كما هي تتدللي وصولا إلـــي أذنيـــه ، مشينا في الطريق صامتين ، كنت أفكر في الستار ذا النقوش المستطيلة، قال الرجل بصوت حزين :تفكر في ذلك الستار ! أليس كذلك ؟

نظرت صوبه ، كان أكثـــر جديـــة ، قلـــت : نعـــم ... أفكـــر فيـــه قال الرجل : منذ عامان ،كان لدي ستار ورثته عن جدي ، كـــان ســـتار جميل ، أتدري : في ذلط الوقت أنا كنت أحب الستار ، كنت أعشق كـــل ستائر الدنيا ، حتي كانت تعجبني كلمة ستار ، وذلك الستار الذي كـــان لدي لم يكن له نظير .

وجذبني حديث الرجل ، سألت : من أيـــن جُلـــب ذلـــك الســـتار ؟ أجاب : صنع في بلاد الهند ، ولكن أبي قال أنه جُلب من الصين ، ذلـــك الستار كان قد نُسج من الحرير، كان لونه أسود تماما ،وأشـــار الرجـــل بيده إلي كل ما حوله قائلا : مثل هذا الظلام الـــدامس ، كـــان ناعمـــاً ومناسباً ولديه حرارة خاصة به ، مثل حرارة ليالي الصيف ، مثل حرارة هذه الليلة ، ثم قال بهدوء وبصوت خافت :فقط في جانب من جوانـــب هذا الستار ، كان يوجد نقش رمادي اللون بحجم إصبع صغير، يصـــور رجلان ،يمشيان بجوار بعضهما ، أحـــدهما قصـــير والآخـــر طويـــل ونحيف.

صمت الرجل ، ورأيت الجبال من خلفه تهتز مثله وتضحك ، بدا لي أنها ليلةهادئة وناعمة ، مثل قطعة قماش حريرية ،مثل قطعـــة قمـــاش حريرية سوداء ولكن تلك الصورة،الصغيرة، رمادية اللـــون ، مـــازال يضحك ، تمينت لو أن أضربه بقبضتي هو والجبال مثله أيضا .

توقف الرجل عن الضحك وقال بصوت حزين : في النهـــار عنـــدما كنت أفرد ذلك الستار ــ كانت الحجرة تصبح مثل ليلٍ ــ ليلٍ أسود ودافئ ،أتدري : في ليالي الشتاء ، لم أكن بحاجة إلى المدفأة ، عندما كنت أفرد الستار ، وكانت حجرتي تصير كإحدي ليالى الصيف الحـــار ،فـــي ذلـــك الوقت كنت أغرق في أحلامي، كنت أحب ذلك الستار، فعلى كل إنسان أن يحب شيئاً ويرتبط به .

وفجأة صمت الرجل ، وشعرت أنه يبكي ،ولكن قلبي لم يحترق من أجله، وأكمل بنفس صوته الحزين قائلا : ذات يوم سُرق شـــخص ذلـــك الستار، لم أكن بالمنزل ورجعت ، لم أجده وعرفت أنه سُـــرق ،وكلمـــا بحثت عنه لم أجده ، ومنذ ذلك اليوم حتى الآن ، لم أنم نومـــاً هادئـــاً ، وصمت الرجل قليلا ، ثم أكمل :و لكن أتدري ...إلى الآن مـــازال هـــذا اللون الرمادي في غرفتي؟

سألت متعجباً : ماذا تعني ؟

قال : التصق بجدار غرفتي ولا أعرف كيف ذلك ؟، نفـــس الرســـم الصغير بحجم الإصبع رمادي اللون، الذي يصور رجلين أحدهما قصير والآخر طويل ونحيف .

أردت ان أسأل عن شئياً ، ولكن رأيت الجبال أيضا من خلفه ، مثل الرجل تهتز ضاحكة مرة أخرى، وفي ذلك الوقت قال : لماذا تذكر الفجر عندما نتحدث عن قماش ذلك الدكان ؟

فأجبت :- لا أعرف .

فجأة قام الرجل واقفاً : هل تشمئز من الليل ؟ قلت : نعم .

قال الرجل : كنت أعرف ، عندما تحدثت عن الفجر ، فهمت أنك لا تحب الليل .

ثم صمت قليلاً :- وسألني ، ماذا فعلت بستاري ؟ قلت : أنا لم أرَ ستارك من قبل .

قال الرجل : أيها السارق ، أنت تكذب ، أنت سرقت ستاري ، أنت لا تشمئز من الليل ، نعم ، لا تشمئز من الليل ، أنت تحب الستار ، وسرقت ستاري .

وبدون أن يستمع إلى إجابتي ،غير مساره ، و ذهب بعيداً،وجاء صوته من وسط الظلام ،

ينادي : أتدري ، كل الناس تحب الستار ، كل العالم ممتلئ بالأغطية والُستر المختلفة ، كل شخص يحب نوعاً من الستار ، الكذب أيضا نوع من الستار ، وشعرت أن الجبال من خلفه تهتز مثله ،وسألت نفسي :

لماذا قلت له أنني أشمئز من الليل ؟

ثم بدا لي أن كل مكان أصبح مغطى بستار أسود ، وشعرت أن الستار يضخ النعومة والحرارة الخاصة به ،وأن ذلك النقش الصغير بحجم الإصبع ، الذي كان على ذلك الستار ويصور رجلين أحدهما طويل، والآخر قصير ، ظننت أن ذلك القصير : هو أنا .

(٣) بيرزنى كه در انتظار بود " السيدة العجوز التى كانت منتظرة " [١]

عندما عبرت من أمام منزل السيدة عجوز ، لم تكن تجلس بجوار النافذة مثل كل يوم ، وهي حزينة ومغتمة ،ـ مثل شقا في صدر الجدار رمادي اللون ـ كانت تفتح فمها –رأيتها تتحرك داخل الغرفة، تعجبت وقلت في نفسي : ماذا تفعل السيدة العجوز ؟

لم أجد أجابة ، هي داخل غرفتها مشغولة بالعمل ،وبدون أن أقول شيئاً، مشيت في طريقي ، ولكني شعرت أن السيدة العجوز ، قد رأتني ،حتي أنني سمعتها قالت شيئا ، وعندما أدرت وجهي ،رأيتها قد أخرجت رأسها من النافذة ، تقريبا إنحنت صوب الزقاق ، كانت تبتسم في ذلك الوقت – إبتسامة نابعة من الرضا والأمل ،سألتها : هل قلتي شيئاً ؟ قالت: كيف حالك أيها المجنون ؟ وشعرت أنني أيضا أبتسم ومرة أخري كررت السيدة العجوز: كيف حالك أيها المجنون العزيز؟ أومأت رأسي بهدوء وقلت :أنا بخير .

وأكملت طريقي ورأسي منحينا لأسفل ، وفي ذلك الوقت ،وبدا لي في اللحظات الأخيرة ،التأسف والشفقة علي وجه السيدة العجوز، وفي نظري إن هذه الحالة التي كانت عليها ،حالة جديدة ، وفكرت في نفسي ،إنها تشعر بالشفقة والتأسف من أجل شئيا ما،وشعرت أن السيدة العجوز ، قلبها يحترق من أجلي .

---

[١] – رهنورد زرياب : پير زنى كه در انتظار بود صـ٣١

قلت : عجيبا ! وعدت صوب نافذة السيدة العجوز ، رأيتها مازالت في الغرفة ،تروح هنا وهناك وكانت مشغولة في العمل ،لم أعرف بأي عملاً هي مشغولة ، وقفت للحظات ، ولكنها لم تنتبه لي ، وفي النهاية ناديت: أيتها السيدة العجوز !

جاءت ناحية النافذة ، كان وجهها مشرق ومبتسما ، سألت: ماذا تقول أيها المجنون ؟

قلت : هل إحترق قلبك من أجلي ؟

أجابت : نعم ،سألت : لماذا ؟

قالت السيدة العجوز: أنت شخص مسكين ،قلت: أصحيح ما تقولين؟

أجابت السيدة العجوز : نعم , أنت شخص مسكين

فجأة ،إنفجرت في الضحك ، ضحكت لفترة ،وعندما رفعت رأسي لأعلي ،رأيت السيدة العجوز إنحنت صوب الزقاق وتنظر إلي ، وكان يظهر في وجهها التأسف والشفقة ،توقفتُ عن الضحك وسألت:وهل أنتي لست مسكينة ؟ وبدون أن تتغير ملامح وجهها،أجابت : لا قلت : لقد كنت مسكينة قبل ذلك ... لماذا أنت الآن لست مسكينة ؟

قالت : لأنني أنتظر شخصاً ما ، سألت : تنتظرين من ؟

أجابت: نعم أنا أنتظر أختي ،هي سوف تأتي بعد هذه السنوات الطوال ،سوف تأتي كي تراني ،

أترى :أنا أنظف البيت من أجلها، وبدا وجه السيدة العجوز أبلهاً ، صرخت : يا لك من بلهاء!

ومضيت في طريقي ، وشعرت بالإشمئزاز من السيدة العجوز،في الماضي لم تكن كذلك ، كانت السيدة العجوز طيبة وتعيش بمفردها ، ليس لديها أحد ، ولم تذهب في مكان ، ولم يأت أحد عندها ، وعندما عبرت من أسفل نافذتها ، وجدتها جلست مغتمة وحزينه ، وعندما وقعت عيناها علي ،وكأنما تنادي على قطة ، قالت : أقبل ، أيها المجنون العزيز، أقبل .

ذهبت إلي منزلها وأعطتنى شيئاً لآكله ، وبينما كنت منشغلاً بالطعام جلست السيدة العجوز بجواري ، وعندما رفعت رأسي رأيتها تبكي ، وتموج في عيونها ظلمة الأحزان ، ويسري في تجاعيد وجهها لون الحزن ، وأنا أسالها كل يوم : لماذا تبكين ؟

أجابت : كم نحن مساكين، أنا وأنت ، ومثل كل يوم سألتها : لماذا نحن مساكين ؟

وأجابت السيدة العجوز : أتحدث عن الوحدة .... وحدتنا

وتملكني الضحك بسبب حديثها ، ونهضت وخرجت من منزلها ، وعندما وصلت إلي الزقاق ، نظرت على النافذة ، كانت السيدة العجوز تجلس هناك حزينة ومكتئبة ، ولأجل أن أسري عن قلبها ، ناديت : في هذه الدنيا الجميع في وحدة .

صدى صوتي وصل الى الجدار وعاد مرة أخري،وشعرت أن الجدار أيضا لا يتقبل كلامي ،ومن سذاجة ،المرأة العجوز تملكني الضحك ، وهربت مترنحا.

وأصوات الأطفال تتعالي من خلفي : المجنون العزيز، المجنون ... توت بلا ثمر .

مر يومان وأنا لم أذهب إلي السيدة العجوز ،وفي اليوم الثالث عندما ذهبت صوبها ،مرة أخري وجدتها تجلس بجوار النافذة ، وقفت قليلا في الزقاق ،سمعت صوت السيدة العجوز في الحجرة تتحدث مع شخص آخر ،فناديتها: أيتها العجوز! جاءت بجوار النافذة وكانت سعيدة ومبتسمة وترتدي ثوباً جديداً ،ونادت علي شخص آخر في الحجرة ، ثم جاءت بجوار النافذة سيدة أخرى عجوزو نحيفة ،والشر يتطاير من عينيها ، ،وكأنما أرادت أن تهدد الجميع ،وخفت من عينيها. قالت لها السيدة العجوز شيئاً ، فنظرت إلي السيدة الأخري بعيونها المليئه بالشر للحظات ، ثم ضحكت والسيده العجوز ضحكت هي الأخرى .

وأنا ناديت : لماذا تضحكان ؟ لم يجبن ، وظلا يضحكان سألت السيدة العجوز : أنت الآن لست وحيدة ... أليس كذلك ؟

أمسكت بيد أختها بشدة ،وقالت: لا ، أنا الآن لست وحيدة .

وشعرت أن صوتها ضرب في الجدار وعاد مرة أخري صوبها ، وشعرت أن الجدار لا يتقبل حديثها أيضا ، فجأه : قهقت ضاحكاً ، وضحكت وضحكت ، ووسط ضحكاتي سمعت صوت أخت السيدة العجوز تقول بخشونة وجفاء : مجنون .... قذر.

شعرت أن صوتها ضرب في الجدار وعاد مرة اخري صوبها ،وعلت ضحكاتي وقفلت النافذة بصوت محكم وشديد ،وأنا سمعت صوت الأطفال: المجنون العزيز المجنون ... توت بلا ثمر

ولم أذهب للسيدة العجوز مرة أخري ،لم يعد قلبي يريد رؤيتهـا ، وكنت فهمت أنها هي الأخرى لا تريد رؤيتي ،وحملت في قلبي ضـعينة لها ، وفي كل مكان كنت أذهب ، كنت أقول : السيدة العجوز حمقاء جداً, والكثير كانوا يسألون : أي سيده عجوز ؟

كنت أجيب : هي نفسها ذات السيدة العجوز، التي لم تعد وحيدة

وذات يوم في وقت الغروب عندما كنت أعبر مـن الزقاق،سـمعت صوتاً حزيناً ومغتماً كان يقول: أيها المجنون العزيز ، أيهـا المجنـون العزيز .

أدرت وجهى لأرى من يناديني وجدتها السيدة العجوز ، وقد إنحنت قامتها ، وتموج في عيونها ظلمة الأحـزان وكانـت عيونهـا ممتلئـة بالدموع ،وشعرت أن الدموع تغسل ظلمة الأحزان هذه .

وقفت ، وجاءت السيدة العجوز بهدوء بالقرب مني ، سألت : ماذا فعلتي مع أختك ؟

أجابت بصوت حزين ويآئس : ذهبت وتركتني ، قلت : لماذا ذهبت ؟

قالت السيدة العجوز:لا أعرف، سألتني عن أموالي أيـن هـي ؟ ، فقلت لها : لا أملك شيئاً ، فتركتني وذهبت، وشعرت أن صوت المـرأه العجوز ضرب في الجدار، وعاد صوبها مرة أخرى ، وشعرت أنه حتـي الجدار لا يقبل حديثها ، وتملكني الضحك ، وضحكت بشدة .

سألت السيدة العجـوز : لمـاذا تضـحك ؟ قلـت : أنـت وحيـدة قالت السيدة العجوز : نعم ، أنا وحيدة ، قلت : هل كنت تنتظرين ذلـك اليوم ؟

أخذت السيدة العجوز بيدي وقالت : أقبل ، أنا أريد منك شيئاً .

ظننت أنها سوف تعطيني طعاماً،وذهبت خلفها ، ووصلنا إلى منزلها وذهبنا بداخله ، وأخذتني السيدة العجوز إلي حجرتها ، وهناك أعطتني حبلاً .

سألتها : ماذا أفعل به ؟ وقالت : قم بتعليقى بهذا الحبل في السقف.

قلت :هل كنت تنتظرين هذا الحبل ؟ السيدة العجوز تملكها البكاء، وبغصة قالت :

قم بتعليقي في السقف .

وانفجرت في الضحك ، ضحكت لفترة ،وقهقهت ضاحكا ،سألت السيدة العجوز :لماذا تضحك ؟

أجبت : سوف أجعلك تبقين منتظرة .

بمرارة وتضرع قالت : نهاية هذا الانتظار لا شئ .... لا شئ مطلقا قلت : مستهزءاً ،إبقي في إنتظار لا شئ .

وخرجت من منزلها ، كنت أضحك وتعالت ضحكاتي ، رأيت السيدة العجوز تأتي من خلفي ، وكان الحبل في يدها وقالت بصوت باكياً : قم بتعليقي في السقف ... قم بتعليقي في السقف!

و أنا ضحكت بصوت أعلي ، والسيدة العجوز مازال الحبل في يدها تأتي من خلفي وتبكي ، وشعرت أن صوت كلانا ضرب في الجدار ،وعاد صوبنا مرة أخرى ، وشعرت أن الجدار لا يتقبل أصواتنا .

ثم سمعت أصوات الأطفال كانوا يقولون: لقد جُنت السيدة العجوز .. لقد جنت السيدة العجوز.

(٤):مردى كه سايه اش تركش كرد "الرجل الذي تركه ظله"[١]:-

كان هناك كائنان، كلاهما في المهد يتحرك في نفس الوقت ، كانا صديقان ، صديقان صدوقان هما : رجلا وظله .

منذ زمن بعيد ،كانا مع بعضهما البعض،أصلاً كلاهما أتي إلي الدنيا في وقت واحد ،ظل الرجل أتي معه إلي الدنيا في نفس الوقت ،منذ البداية كان طفل صغير، وكان ظله أيضا طفل صغير، وكبرا معا في وقت واحد ،ونما جسد كلاهما ، وكلاهما كان مخلص ووفي ، وكلما أراد الرجل أن يذهب إلي مكان ، كان يقول لـ ظله : سوف أذهب مع فلان إلي مكان .

كان ظله علي الفور ينطلق ويقول : أي شئ أفضل من ذلك ؟ انا أيضا معك

وطوال الطريق كانا يضحكان ويقهقهان ، فيما يبدو أن ظل الرجل كان مسلوب الإرادة ، كل ما كان يريده الرجل ، كان ظله أيضا يؤيده ويريده، في الحقيقة كانا غلاما ومالكه ، الرجل كان المالك وظله كان غلامه ، غلاماً جيداً ووفياً

[١] – رهنورد زرياب : مردي كه سايه اش تركش كرد صـ ١٠١

ولكن ذات يوما ،اضطرب كل شئ ، كان قد تعرف الرجل علي فتاة ، كانت فتاة جميلة ، كان هناك شئياً في عيونها ، وغمازات فمها ، جذبت الرجل إليها وجعلته مسحوراً بها .

في أول مرة عندما رأي الفتاة ، قال : ما أجملها ، وظله كرر ذلك أيضا ، ما أجملها .

وقال الرجل : لابد أن تصبح هذه الفتاة لي ، وأكد ظله ذلك : نعم صحيح.

وذات يوما عندما قبل الرجل الفتاة لأول مرة ، كان ظله راضياً وسعيداً وهمس في أذن الرجل : قمت بعمل جيد ! وكان الرجل يرى الفتاة كل يوم ، وكان ظله معه أيضا ويشجعه كي يراها أكثر من ذلك ، وانطلق الرجل وظله في الطريق ، كان الرجل متعباً وكان ظله يتبعه ، ويتظاهر بالتعب أيضاً، فجأة : رأى كلاهما الفتاة ،ظل الرجل هو من رأها في البداية ، وقال للرجل : أنظر ...أنظر تلك الناحية !

رأي الرجل الفتاة ،مع شابا غريبا يمشيان ويدها في يده ، وعم قلب الرجل حزن عميق ، وقال لـ ظله :من هذا الشاب ؟ ظله أيضا أصبح حزينا ، أجاب : لا أعرف .. لا أعرف مطلقا.

قال الرجل : سوف أتبعهما ، قال ظله : حسنا

و كلاهما تتبع الفتاة والشاب ، وطوى كلاهما الطرق ،ودخلا بيتاً ، وقف الرجل خلف البوابة ، وظله أيضا وقف خلف البوابة ، وكانت الشمس قد غربت ، وكان ظل الرجل قد شحب لونه ،

قال الرجل: أريد أن أعرف ماذا يفعلان ؟.

أشار ظله إلي جدار قصير في البيت : إصعد من على هذا الجدار.

وتوقف الرجل قليلا ، قال ظله : إصعد .

صعد الرجل من على الجدار ، وصعد ظله أيضا ،وألقى بنفسه في البيت، وذهب بهدوء صوب نافذة كان قد بدا ظاهراً ضوئها ، ذهب ببطئ، وألصق أنفه بزجاج النافذة ،وألقي نظرة داخل الحجرة، وكان ظله أيضا واقفا بجواره .

داخل الحجرة كان الشاب الغريب يجلس علي السرير ، وكانت الفتاة تضع رأسها علي أرجله ، وتبتسم ، وبدت غمازات فمها في غاية الجمال .

قال ظل الرجل : أترى ؟ أجاب الرجل : نعم

أدار الرجل وجهه وإبتعد عن النافذة ، وإندفع جارياً ، وصعد من أعلى الجدار القصير وألقى نفسه في الزقاق ، ومرة أخرى أخذ في الجري ، وظله يجري جنباً إلى جانبه مثل كلباً وفياً .

وفجأة وجد الرجل نفسه صار خارج المدينة ،كان يقف علي جسر كبير ، وكان النهر ساكناً وكان القمر ساطعاً ، وإنعكس ضوءه علي سطح الماء ، كان ظل الرجل يقف بجواره ، ومضت فترة في صمت ، ثم سمع الرجل شخصاً يبكي ، كان ظله ، وكان قد أحنى رأسه علي صدره، وكان يهتز من شدة البكاء ، وانقض على قلبه حزن عميق وشديد ، أراد أن يقول لـ ظله : لماذا تبكي ؟ ولكنه لم يستطع أن يقول شيئا ، وبدلا من ذلك ، تأوه باكياً ، وتفوه قائلا :

يا تعس حظي ! ، وتأوه ظله أيضا : يا تعس حظي ثم قبّله ظله ، أنظر هذا النهر ... كل شئ سوف يمر مثل هذا .

حدق الرجل في ماء النهر الذي كان يعبر بهدوء ، وشعر أن الماء يمر آخذا معه ، شئ يتعلق بالرجل ، وهمس الرجل : حمل حياتي معه.

وبكى ظله مرة أخرى ، كم هو سئ !

وعاد كلاهما صوب المدينة ، كانوا محزونين ومغتمين ، وأحنوا رؤوسهم علي صدورهم ، قال الرجل : أنا أحمق .. لماذا وثقت فيها كل هذه الثقة ؟ وأكد ظله كلامه : صحيح

قال الرجل : اعتقدت أنني اعرفها جيداً، قال ظله : نعم لا أحد يعرف أحداَ حق المعرفة .

قال الرجل : لا ليس صحيحاً ، أكد ظله كلامه : نعم ، صحيح .

وقف الرجل وقال لـ ظله : أنا أعرفك جيداً ، نحن أصدقاء ، أليس كذلك؟

هز ظل الرجل رأسه ، متأسفا: ربما هذا أيضاً ليس صحيح ، ربما نحن أيضا كلانا لا يعرف بعضه البعض جيداً .

الرجل: ماذا تقول أنت ؟ قال ظل الرجل : ما الذي علي أن أفعل ؟ هذه هي الحقيقة .

قال الرجل بعنف : أنت لا تستطيع أن تثبت ذلك الموضوع قال ظله : إن ثبوت ذلك موحش ومخيف ، عندما يكتشف أحد هذه

الحيقة الموحشة ، يجد نفسه في فضاء لا محدود (عُزلة)، في حالة السقوط إلي الهاوية .

تأوه الرجل : أنت تكذب ،أكمل ظل الرجل كلامه ، بدون أن يعير كلام الرجل أي إهتمام :

ذلك الفضاء كل جهاته مليئة بالوحدة ، في الشمال وحدة ، وفي الجنوب وحدة ، في الشرق وفي الغرب ، الوحدة في كل مكان ،هذه الوحدة ــ مثل ذلك الفضاء غير المحدود ،وأنت مثل الفضاء. وضع الرجل قبضة يده علي شعره ، وصرخ : هذا موحش ..... يا إلهي.

وظله أخذ في البكاء بهدوء : موحش ... موحش .

وانطلقا في الطريق ، والرجل ولأول مرة في حياته يختلف مع ظله.

وسأله ظله : أين تذهب ؟ أجاب الرجل : لا أعرف .

قال ظل الرجل : الآن لقد مضى من الليل نصفه ، سأل الرجل : ما الذي يثبته حديثك هذا ؟

أجاب ظله بابتسامه مريرة : نفس السقوط .... السقوط في الهاوية.

سأل الرجل : في النهاية ... ما هذا السقوط ؟ أجاب ظله : الوحدة .... تلك الوحدة .

قال شخصاً ما : إن البشر مثل الجزر المتباعدة المترامية الأطراف، ولا يصلون إلي بعضهم مطلقاً ، هل تتذكر من الذي قال ذلك ؟

الرجل : لا أعرف .

همس ظله : ولكن شخصاً ما قال ذلك ، وهذه هي الحقيقة الموحشة.

ثم ، تنفس الصبح مشرقا ، وطلع النهار ، ومازال الرجل يطوي الطرقات في حالة شديدة من الإعياء والتعب ، وكان ظله معه،لم يكن يعرف أين يذهب ، ومرة أخرى وقعت عيناه علي الفتاة التي كان يحبها، كانت الفتاة بمفردها وكانت تبدو متعبة أيضاً ،وجذبته عيونها وغمازات فمها مرة أخرى ، وخفق قلب الرجل ، وعنما وقعت أعين الفتاة عليه ، أشارت إليه ، فنسي الرجل كل شئ وذهب ناحية الفتاة ، ولم يكن قد وصل إلى الفتاة ، حتى إنتبه أن ظله ليس معه ، نظر خلفه ، رأي ظله حزين ومظلم ، يقف في طرف الشارع وعيناه مليئة بالدموع ، الغلام الوفي أعلن عصيانه،صرخ فيه الرجل : أقبل .

أجاب ظله : لن آتي ، هذه الفتاة أهانتني .

قال الرجل : سوف أتحدث معها قليلا ، لحظة واحدة .... من فضلك أقبل.

قال ظله بصوت مختنق بالدموع : الآن فهمت أننا لانعرف بعضنا حق المعرفة .

قال الرجل : أنت تقول هراء ، سوف أتحدث معها لحظة واحدة ، فقط ربما يكون سوء تفاهم .

قال ظله:لا تخدع نفسك ، لن تختلف النهاية ،هو نفس السقوط ..... السقوط في الهاوية بلا فائدة .

سأل الرجل : أتريد أن تنفصل عني ؟ أجاب ظله : من البداية نحن كنا منفصلين .

قال الرجل : هذه الفتاة تحبنا ، أقسم أنها تحب .

قال ظله : لن تختلف النهاية ، هو نفس السقوط.

وأشارت الفتاة إلي الرجل بحركة تخدع القلب، تردد الرجل قليلاً ،ثم جذبته عيون الفتاة وغمازاتها ، ومرة أخرى نظر صوب ظله ، وسأله :أين تذهب الآن ؟

أجاب ظله : في نهاية هذا السقوط .... إلي الوحدة .

إقترب الرجل من الفتاة ، وأمسك بيدها وقبّلها : أين كنت ليلة أمس؟

قالت : كنت في البيت أخيط ملابسي.

وظن الرجل أن الفتاة كانت طوال عمرها في البيت وتخيط الملابس، همس :

أعلم يا عزيزتي .... أعلم .

ثم سأل الفتاة : لن تتركيني يوما ؟ قالت الفتاة اللعوب : ما هذا الكلام الذي تقوله ؟

قال الرجل : إقسمي ألا تتركيني ، وأقسمت الفتاة أنها لن تتركه إلي الأبد.

وامتلئت أعماق الرجل بالسعادة ،وشعر أن لديه علاقات قوية مع كل البشر في الدنيا ، وترك برودة التفكير في الوحدة ، ثم أدار وجهه ،رأى

ظله أومأ برأسه إلي أسفل ، ومضى في الأزقة المتعرجة وسوف يختفي عن الأنظار ، وظن أن ظله وصل إلى نهاية ذلك السقوط ... السقوط بلا فائدة ، كان يبكي وحيداً .

وضع يده في يد الفتاة الجميلة ، وابتسم ، وابتسمت الفتاة أيضا قال الرجل : ما أوحش أن يصير الإنسان وحيداً ، قالت الفتاة : أنا كنت وحيدة أمس.

قال الرجل : أعلم ... أعلم .

وشعر أنه يحارب شيئا الآن، يحارب ذلك السقوط " السقوط بلا فائدة".

(٥) باشه ودرخت " الباشق والشجرة " :[١]-

في زقاقنا، منذ زمن قديم كان هناك شجرة كبيرة وجافة ،وبالقرب من تلك الشجرة ، كان يوجد دكان لإسكافي ، مع كل صباح كان يفتح دكانه ويجلس ،ومع كل غروب كان يضع قفل كبير، على بوابة دكانه ويذهب .

وفي زقاقنا هناك رجلان يعيشان ليس لديهما عمل ، لا أعرف لماذا لم يكن لديهم عمل ؟ وكل يوم يذهبان لدكان الإسكافي ،ويجلسان عنده ، وكأنما هما جزء من سلع دكانه .

وذات يوم عندما كنت أعبر بالقرب من دكان الإسكافي :وجدته ليس سعيداً ولا يتكلم كثيراً مثل الأيام السابقة ، وقد أحنى رأسه في صدر

[١] – رهنورد زرياب : باشه ودرخت صـ ١٥٩

ملابسه ، وبدا كأنه يأخذ قيلولة ، و كلا الإثنان العاطلان عن العمل : أيضا كانت رأسهما منحينة ويأخذان قيلولة ، وشعرت أنهما يقلدان الإسكافي ، يقلدانه بلا خبرة ، وإقتربت أكثر : وكان الإسكافي ، كما هو قد أحنى رأسه داخل صدر ملابسه ، اعتقدت أن هناك حادث سئ قد حدث ، سألت : خليفة ، ما الخطب ؟

رفع رأسه ببطئ ونظر صوبي ، وكانت دائما عيناه تلمعان بالشرر والشراسة ، ولكن في هذه المرة بدلا من ذلك الشرر ، قرأت في عينيه شيئاً غامضاً ومبهاً ، وكلا الرجلان العاطلان رفعا رأسهما ببطئ ، ونظرا صوبي , قال الإسكافي : لقد هرب الباشق (طائر من الطيور الجارحة).

وتملكني الضحك من قوله هذا ، وسألت : كيف هرب ؟ أجاب : طار وذهب بعيداً

ومرة أخرى افترشت السعادة قلبي ،وربما هو أيضا رأى تلك السعادة في عيني ، إذ فجأة تعالت ضحكاته أيضا ، وكلا الرجلان العاطلان، تعالت ضحكاتهما ،مقلدان له ،وشعرت في ضحكات الإسكافي بغضب الإنتقام ، وكانت ضحكات الرجلان العاطلان بدون إحساس.

قلت : لماذا تضحك ؟ قال : لأنه الباشق الملعون سيموت سريعًا .

قلت : لماذا سيموت بسرعة ؟

أجاب : لأن الخيط الذي كنت عقدته في أرجله ، مازال في أرجله ، ولمع الشرر الدائم في عيونه من جديد وقال : الباشق الملعون، إذا

جلس على أي غصن ، أو فرع من الشجرة ، فسوف ينعقد الخيط الذي في أرجله ، بأغصان أو فروع تلك الشجرة ،وهو سيظل هناك للأبد

ومرة أخرى تعالت ضحكاته ، قيد محكم .... أبدا لن يستطع تمزيقه.

ارتعدت ، وجفت السعادة في قلبي ، وتعالت ضحكات الرجلان العاطلان :

لن يستطع تمزيقه ... لن يستطع .

قال الإسكافي : لقد أخذ الموت معه .

قلت : أنك قاسي القلب جداً .

ولمع الشرر في عينه وقال : لقد أعطيته الكثير من العصافير الحية، فقتلها وأكلها ،ولكنه طار هارباً ،ولم أستمع إليه ثانية وانطلقت في طريقي،وكانت كلامات الإسكافي،ترن في أذني :

الخيط الذي كنت عقدته في أرجله ، مازال في أرجله ، إذا جلس على أي غصن ، أو فرع من الشجرة ، فسوف ينعقد الخيط الذي في أرجله ، بأغصان أو فروع تلك الشجرة ،وهو سيظل هناك للأبد ،قيد محكم .... أبدا لن يستطع تمزيقه .

كانت هذه الليلة ، ليلة سئية ،كنت مستلقي ،في الظلام على فراشي ،لم يأتيني النوم ، ظلمة الليل كانت تثقل صدري ، نهضت ونظرت من النافذة ، كان الزقاق نائما وسط الظلام ،وشعرت أن ظلمة الليل، نثرت الغم وضيق القلب في كل مكان ، ومرة أخرى استلقيت علي فراشي ، كانت قد طغت فكرة تخيلية في أعماق الجب المظلم داخلي ، وكلما سعيت ،لم أستطع أن أخرج تلك الفكرة من ذلك التخيل ، كان هناك

شخصاً، لم يدع لها طريقا للخروج ،وهو نفسه ترنح بين الجدار والباب، مضى الليل ، وأنا كنت في ثورة عارمة .

وبدت الظلمة تتكشف رويداً رويداً ، وأنا بين النوم واليقظة ، ورأيت أن العالم كله إجتاحته الخيوط ، كل مكان ممتلئ بخيوط طويلة وقصيرة وكان زقاقنا مليئ بالخيوط ، خيوط قوية ، ولا يمكن قطعها ، ثم إنتبهت لهذه الخيوط فوجدتها معقودة بأرجل الناس، كل شخص كان لديه خيط في أرجله ، أنا أيضاً كان في رجلي خيط .

اهتززت ونهضت ، كان وقت الفجر ، وكان يُسمع في الزقاق أصوات همسات ، خرجت إلي الزقاق ،بالقرب من دكان الإسكافي ،تحت الشجرة الجافة ،كان قد تجمع العديد من الأشخاص الإسكافي ، الراقص، قال شيئاً ، وعندما وقعت عيناه علي ، راقصا ، أتي صوبي وقال :

أرأيت أنني كنت أقول الصواب ؟ سألت : ماذا حدث ؟

أجاب : أقبل ، وأخذ بيدي نحو الشجرة الجافة ، وأشار إلى إحدى غصونها ، أنظر ...أنظر وجدت الباشق معلقاً من إحدي أرجله في غصن الشجرة، كان مشوهاً ، وريش الباشق الميت كان قد التصق بأغصان الشجرة ، كان وضع الطائر مثيراً للشفقة ، كان يُرى في وجه الطائر مرارة وكأنه كان يقول : أهذه هي النهاية .

قال الإسكافي الضاحك الراقص : ألم أقل أنه سيموت بسرعة .... ألم أقل ؟

وحدق الحضور في الباشق ، الذي كان معلق من إحدى أرجله ، وكانت تتقطر من عيونهم سعادة ورضا أبلهان ،وشعرت أنهم يقولون :

حسناً، الباشق معلق من أرجله ، ونحن لسنا معلقون ، نظرت إلى أرجلهم ، كان الجميع لديهم خيوط في أرجلهم ، خيوط قويه ، والإسكافي أيضا كان لديه خيوط في أرجله ، هذه الخيوط كانت قد صُنعت من حلقات صغيرة ،وجميع الحلقات على شكل كلمة ، شكل كلمة (أنا)، وتعالت قهقهاتي وضحكاتي ، وسأل الجميع في صوت واحد :

لماذا تضحك ؟وبدلا من الجواب ، تعالت ضحكاتي أكثر ،وانعكست في الزقاق ،وسأل الإسكافي بصوته الجهوري (مثل الزئير) : لماذا تضحك ؟

قلت : أنتم أيضا لديكم في أرجلكم خيوط ، خاف الجميع ونظروا إلي أرجلهم ، وقالوا في صوت واحد : أين الخيط ؟

ونظرت بخوف إلي أرجلي ، كان الخيط مقيد في أرجلي ، وحلقاته الصغيره علي شكل :

أنا ... أنا ...أنا ، وشعرت أن تلك الفكرة ، ذلك التخيل ، خرج من جب أعماقي المظلم .

بدا كل شئ في نظري يبعث علي السخرية ، وضحكت مرة أخرى ، وبعد ساعة ، كلنا صرنا معلقون من رجل واحدة في أغصان الشجرة الجافة ، وكان الإسكافي معلق بجواري، كان وجهه مثيراً للشفقة ، وكأنه كان يقول : أهذه ... هي النهاية ؟ .

وكان بالقرب منه رجلان زقاقنا العاطلان ، كانا معلقان ، وكان وجههما مثيراً للشفقة ، وشعرت أنهما يقلدان الإسكافي ، وفجأة وقعت عيني على الباشق ،سألت نفسي : لماذاعاد إلي هنا ؟ فلاحظت أن

الباشق ، لديه خيطاً آخر في أرجله ، وهذا الخيط مقيد في دكان الإسكافى ،هذا الخيط كان قد صنع من العصافير التي ما زالت على قيد الحياة .

(٦) كفش ها " الأحذية " :- [١]

الأخبار في الإذاعة كانت تقول :

حرب ،أزمة اقتصادية ،مائة شخص لقوا حتفهم في الهند ،بسبب الإعصار،والأمطار الشديدة ؛ حاولت أن أُجسم ميدان الحرب في مخيلتي ؛وكل ما تذكرته ،صوراً من ميادين الحرب القديمة، الميادين التي كنت رأيتها في المنمنمات ،وحاولت عدة مرات أُخر ،ولكن رأيت ميدان المنمنمة من جديد ، في هذه الميادين ، كل شئ كان مضحكاً ، حتي القتلى .

قلت في نفسي : ما هذه الدنيا !

ثم تذكرت الإعصار والأمطار اللذان ضربا الهند ، وكل ما تبادر إلى ذهني ،فقط صورة راقصة هندية ، كانت ترقص في معبد هندي، كانت مثل راقصات الأفلام الهندية ، ولم أكن أعرف من أين أتى اللحن الذي كانت ترقص عليه ، كان مثل ألحان الأفلام الهندية – في الأغلب- لا يعرف من أين أتى .

كانت الراقصة قصيرة القامة و عيونها بريئة ، كانت ترقص وترقص ، وأعجبني رقصها،وأردت أن أستطرد بنفس الشكل و لكن فجأة

---

[١] –رهنورد زياب : كفش ها صـ١٦٥

بدأ الأعصار الشديد ، هبت رياح شديدة ،وبدأ المطر يمطـــر ، رياحـــاً قوية ،أسقطت جدارن المعبد ، وإندفع الماء ،وشمل المكان جميعه ، ثم رأيت الراقصة ، في وسط الماء ،تضرب بيدها وأرجلها ، ولم تُري فـــي عيونها تلك البراءة مرة أخرى ، ونطق الحرص الشديد في عيونها ، لم أكن عرف لماذا هذا الحرص وذلك الطمـــع ؟ وفجـــأة ســـمعت صـــراخ الراقصة : لابد أن نرى الواقع .

ثم اختفت بين أمواج الماء ، وذكرتني العيون الحريصة للراقصة ،في تلك الحالة ، بفتاة كنت أحبها ،فتاة صغيرة ،قصيرة القامة وتُـــري البراءة في عيونها ،تلك البراءة كانت تجعل أي شخص يثق بها ، وأنـــا أيضا وثقت بها ، ووثقت بها كثيراً ، ولكنها ذات يوما قالت لي :

لابد أن نرى الواقع ، قلت : ماذا تقصدين ؟

قالت : لابد أن نمتلك أموالاً ، بدون أموال سوف تمر الحياة مريرة.

هربت البراءة من عيونها ، ، ونطق الحرص والطمع الشديد فـــي تلك العيون بدلاً من البراءة ، كان طمع المال ، كانت تذوقت لذة المال ، واختفت الفتاة منذ ذلك اليوم ،وأنا خاب أملي .

وظل المذياع يقول مثل هذه الأنباء – من الأوضاع الجويـــة ومثـــل هذه الأشياء .

فأطفأت المذياع ، والمصباح أيضا ،وكان ضوء مصابيح الطريـــق ينير بالداخل ، وعيوني تعودت على الضوء الخافـــت ،وكنـــت أســـتطيع تمييز كل شئ في زوايا وجوانب الحجرة ، حتي الرسومات التي كانـــت معلقة علي الجدران ،كنت أراها بوضوح .

ولفتت نظري صورة كانت على المنضدة ، كانت صورة والدتي ، التي توفت منذ سنوات ،وميزت تجاعيد وجهها ،رأيت ابتسامتها الشاحبة ، والورود التي كانت في ملابسها ، كانت تجلس في هدوء، وتنظر فى احدى نواحي الغرفة .

تتبعت نظراتها ، كانت تنظر بالقرب من البوابة ، هناك علي عتبة الباب، رأيت شئيا صغيرا ، كان زوجا من الأحذية ، لم أتعجب ، ولكن قلت في نفسي : هذه الأحذية ليست أحذيتي !

نهضت وأشعلت المصباح ، في الواقع كان زوجا من الأحذية ، كانت الأحذية صغيرة وذات لون أسود ، أحذية نسائية ، ولكن ليست من هذه الأحذية ، التي ترتديها البنات الشابات، وبرؤية تلك الأحذية ، شعرت بشئ من الراحة ، وأحسست أني طفلاً يبلغ من العمر سبع سنوات ،وأن هناك شئياً سيحدث ، ضد رغبة هذا الطفل البالغ من العمر سبع سنوات ،ولابد أن يبكي ذلك الطفل .... وبكيت .

وجلست علي ركبتي بجوار الأحذية ،وتملكني البكاء ، ثم وضممتها لصدري ،ولم أتوقف عن البكاء ، كان قلبي ممتلئ ، وفي الوقت الذي كنت أحتضن فيه الأحذية ، خرجت من البيت ، في ساعة متأخرة من الليل ، ولم يكن يري أحد في الطرقات ، فقط كانت المصابيح تتلألأ مضيئة ، وأنا ذهبت ، ولم أكن أعرف أين أذهب ؟

ونظرت إلى ما حولي ، كل المكان كان مثل ميادين الحرب القديمة ، الميادين التي كنت رأيتها في المنمنمات ، وكان كل شئ في تلك الميادين كان مضحكاً ، حتي القتلى .

وقلت في نفسي : أي دنيا هذه !

ثم رأيت الراقصة الهندية كانت ترقص ، فجأة أدركت أن هذه الراقصة ، هي نفسها تلك الفتاة التي كنت أحبها ، وكانت عيونها ممتلئة بالحرص والطمع الشديد ، وبأبتسامة بارعة قالت : لابد أن نرى الواقع..... الأموال ... الأموال .

وفاض قلبي بكل ما يتحمله ، وبدأت في الجري ، ثم وجدت نفسي في مكان بعيد ، لم يكن هناك مصباح ، كان قبر ، وفي ضوء القمر كانت المقابر تبرز مليئة بالبهاء، والأسرار ، وجلست على ركبتي بجوار مقبرة أمي ، ولم أجد الأحذية ، وربما أصلاً لم يكن موجوداً، ولم أفكر فيه مرة أخرى ، وشعرت أنني قد سئمت من هذه الحروب المنمنمة ، المضحكة ،وتلك الراقصة بإبتسامتها الخادعة ، وشعرت أنني ليس لدي مقدرة على تحمل أي شئ ،وأردت أن أغط في نوم عميق ، وتمددت في وسط المقابر بجوار مقبرة أمي .

(٧) شام " أول الليل "[١] هذه القصة تخليد لـذكرى صادق هدايت

عندما فتحت عيوني ، كان قد أصبح محيط الغرفة فولاذي اللون ، وكانت مصابيح الجيران تتلألأ ، وتذكرت أنني نمت كثيراً ، شـعرت أن بدني يتصبب عرقاً، وكان كله يؤلمني ، وصار حلقي جافاً ، وأشـعر بحرارة شديدة في بدني، وكأنه يشتعل من الحرارة ، والتصقت شفتاي ببعضهما .

بدت الوحدة ، مخيفة في وسط محيط الغرفـة فـولاذي اللـون ، وشعرت أنني رويداً رويداً أصير جزءأ من ذلك المحيط ، وشعرت انني أتحلل وأفنى في محيط تلك الغرفة فولاذي اللون ، وفي موج الوحـدة الصامت، أردت ان أفسد موج الوحدة الصامت وذلك المحـيط فـولاذي اللون، أردت أن أصرخ ، ولكن لم يحدث ، لم أسـتطع ، فقـط تأوهـت بهدوء : يا إلهي !

ووجدت نفسي مرة أخرى وسط ذلك المحيط فولاذي اللون ، وموج الوحدة الصامت ،وسرى في عروقي إحساس غامر ، إحساس ساحق ، شيئا أكبر من الخوف ،خليط بين الخـوف والحـزن ، والقلـق أيضـاً. وإهتززت ببطئ ، ظننت أنني إهتززت ، ولكن هذه الرجفة لم تغير شيئا، كما هو نفس المحيط فولاذي اللون،وموج الوحدة الصامت ،وأنا كنـت أشتعل من الحرارة ,ربما استقرت كل مشاعري، استقرت فـي أعمـاق وجودي، مثل قارب غرق في أعماق البحر، تملكني حالة من اللا شعور

[١] – رهنورد زرياب : شام صـ١٦٩

شعور،وظننت أنني صرت جزءاً من المحيط الفولاذي ، حـــزن وخـــوف وقلق ،وصلوا إلي درجة الغليان في أعماق وجودي ، وظلوا هناك علي حالهم .

وكان يترامى إلى مسامعي صوت مذياع الجيـــران والـــذي أحيـــا الذكريات في ذهني ، منذ عدة سنوات ، في تلك الأيام كنت صبياً صغير السن ، وكل يوم في وقت الغروب كنت أذهب أعلي ســـطح المنـــزل ، أجلس هناك ،وأحدق النظرمن منزل الجيران ،كنت أفعل ذلك تقريباً كـــل يوم ، ولم أكن أعرف ما الذي يعجبني في ذلك المنزل ؟ ، وكان المنـــزل متواضعًا وضيقًا ،وفي وقت غروب الشمس،كان يموج هنـــاك المحـــيط فولاذي اللون،وكان يعيش في ذلك المنزل، أسرتان، وكانت الأم في كلا الأسرتين في منتصف العمر، وصارتا على مشارف الكبـــر، والعجـــز ، واحدة منهما كان اسمها عائشة ، وكانت رجلها اليمنى عرجاء .

في وقت الغروب ،أحياناً ،كانت السيدة الأخـــرى تشـــغل المـــذياع ، وكانت أصوات ألحان الراديو ، تعبر من محيط البيت فولاذي اللـــون، وتترامي إلى مسامعي ، كانت حزينة ومؤلمة ، وفي ذلك الحين كانـــت السيدة الأخرى تخرج رأسها من النافذة ، تصرخ :

عائشة ،عائشة ، أقبلي ، يتغني بالفصحى .

ويسمع صوتا من الحجرة في الأسفل يجيب : سأتي ، سأتي .

وكنت أحدق إلى أسفل بوابة الحجرة: كي أرى تلك الســـيدة متـــي تأتي ؟، ولكنها لم تكن تأتى مسرعة أبداً ، لا أعرف ماذا كانت تفعل ؟ ، وبعد مرور وقت طويل ، تأتي وتصعد بخطواتها العرجاء ،إلي الحجـــرة

العلوية ،وعندما كانت تنتهي الأغنية ؛ في ذلك الوقت كانت تجلس بجوار النافذة ؛ وتبكي بمرارة ، ولم أكن أعرف لماذا كانت تبكي؟ ،كان بكاؤها يعبر من بين المحيط فولاذي اللون ،ويزحف في زوايا المنزل ، الضيق، المتواضع ، كان مؤلم وحزين :وكانت السيدة الأولى : تقول لها بصوت خافت :كفى ... كفى ، تلك هي الدنيا .

وكانت عائشة تجهش بالبكاء ، قائلة : هذه الدنيا فانية ، فليحسن الله خاتمتنا .

وفجأة ، ثار الحزن والخوف في أعماق وجودي ،وثار وثار،وأصبح المحيط فولاذي اللون باعثا علي الخفقان ، وشعرت وكأنما غرفتي التي أنا بها الآن، هي ذلك المنزل الضيق وأنني مازلت طفلاً صغيراً ، وشعرت أنني قد جلست في الغرفة أشاهد ، ذلك المنزل المتواضع ، الضيق ،ثم سمعت صوت سيدة تنادي : عائشة ، عائشة ،أقبلي ، يتغنى بالفصحي

أجابت السيدة الأخرى : سأتي ، سأتي .

ثم جلست عائشة تبكي بجوار النافذة ، وشعرت أنني مستلقي أمام فناء المنزل الضيق، المتواضع ،وشعرت أن عائشة تبكي بشدة ، ثم أصبح وجهها الكبير، أكبر وأكبر، وشمل كل المكان، وشعرت أن الدنيا وجه عائشة الكبير ، وعائشة تبكي كما هي ، كانت تبكي بشدة ، وسقطت قطرات دموعها ،فوقي ، وانزلجت لأسفل ، كانت قطرات ساخنة، أتعبت جلدي ، ثم تحولت على الجانب الآخر ، وجاء في نفسي، أن سريري يطقطق ، وقطرات العرق تتصبب من وجهي ، وشعرت بنهجان شديد ، وشفتاي كأجراس مغلقة ، وقلبى يخفق بشدة ، شعرت

بالضعف ،وألقيت نظرة علي جوانب وزوايا الغرفة ، وصار اللون الفولاذي ظاهرا في كل مكان ، وترامى إلى مسامعي من مسافة بعيدة أن أحداً يقول : هذه الدنيا قد انتهت ، فليحسن الله ختامنا .

همست بشكل لا إرادي:النهار مضى ، الآن أول الليل ،قلتها عدة مرات ، أول الليل ،أول الليل .

وافترش الحزن قلبي أكثر من ذي قبل ، ثم وجاء في خاطري شخصاً آخر ، كان يعيش ليال حزينة ،فتذكرت ذلك الرجل النحيف،ذا النظارة البيضاء ،وهو يجلس في محيط غرفته الفولاذي، ويتمم قائلا : واحسرتاه ، مرة أخري صار الليل .

وعم الدنيا ظلام داكن .

وهدء الخلق جميعه في آن واحد.

إلا أنا ، إزداد ألمي وحزني .

وترامي إلي مسامعي أصوات بكاء ، كانت عائشه تبكي ، جلست بجوار النافذة ،تبكي بحرقة ،

كان بكائها يرن في المحيط فولاذي اللون، للبيت الضيق ، المتواضع ، وشعرت أن صدي بكائها حطم موج الوحدة، الصامت ، ثم قال شخصا : يكفي ...يكفي ... هذه هي الدنيا !

نظرت إلي أعلى ، رأيت الرجل النحيف كان يقف بجوار عائشة ، وكان يهدأ من روعها،ثم

بدأت عائشه في التغني بصوت عالي :

واحسرتاه ، مرة أخري صار الليل .

وعم الدنيا ظلام داكن .

وهدء الخلق جميعه في آن واحد.

إلا أنا ، إزداد ألمي وحزني.

الرجل النحيف ذا النظارة جلس بجوارها ، وبدء كلا الإثنان في البكاء، وكانت دموعها تنهمر هاوية لأسفل ،وكان الهواء يأتي بها على وجهي ،تحركت بصعوبة وذهبت خارج الغرفة ، كان المطر يهطل ،حملت الرياح الشديدة الأمطار داخل الحجرة ،ونهضت بصعوبة ، وأغلقت النافذة ولم يدخل المطر في الحجرة مرة أخرى ، وتبدل محيط الغرفة فولاذي اللون، بالظلام ، صار مفجعاً ، وشعرت أن منزل الجيران الضيق المتواضع ، جاء في غرفتي ، عم الظلام أرجاء المكان ،ثم نادى شخص :أقبلي ، يتغنى بالفصحى .

وأجاب شخصا آخر : سأتي ... سأتي ، وسمعت شخصا يتغني بصوت حزين :

واحسرتاه ، مرة أخري صار الليل .

وعم الدنيا ظلام داكن .

وهدء الخلق جميعه في آن واحد.

إلا أنا ، إزداد ألمي وحزني.

وفتحت عيوني ، وعم الظلام أرجاء المكان ،وأقبض الحزن علي قلبي ، وموج الوحدة الصامت أثقل وجودي ،وشعرت أن عائشة جلست

بجوار سريري ، وتبكي منتحبة ، وشعرت أن الرجل النحيف ذا النظارة، جلس ناحية رأسي ، ويهمس بمرارة ، وشعرت أن غرفتي ممتلئة كاملاً بالظلمة والحزن ، حتى كدت أتلاشى في الظلمة والحـــزن ،وشـــعرت أن جوانب عيني صارت رطبة ، تملكني البكاء ،وشعرت أن أحداً يُهدأ مـــن روعي :

يكفي ... يكفي ... هذه هي الدنيا .

ثم كان الصمت والسكوت ، وكانت الوحدة الصامتة ، تمـــوج فـــي محيط الغرفة مظلم اللون ، وشعرت أنني أيضا أجول هنا وهناك ، فـــي محيط الغرفة مظلم اللون ، وتلاشيت في أمواج الوحدة الصامتة .

(٨) شاه غزل "ملك الغزل " [١]:-

عنما سمعت هذا الصوت لأول مرة ، كان جذاب ، ونثر في قلبـــي شوق حلو ، أمتعني ، وأشعرني بالدفء ،ولم يكن ذلك الصوت يشـــبه أي صوت آخر ، لم يكن صوتاً ،كان شيئاً آخر، ولكني مجازاً أطلق عليه صوت ، فليس لدي كلمة أخرى أعبر بها عنه سوى ذلك .

أول مرة عندما سمعته كان يوم ممطر ، يجعل الإنسان بارد ، كانت السماء مظلمة وملبدة بالغيوم ، كان لها لون يطبق على قلب الأنسان ، كصورة كبيرة من الحزن في إطار من الوحدة اللا متناهية .

وأنا كنت ، فى غرفتي الصغيرة وحيداً مثل كل يوم ، كانت تمطـــر من خلف النوافذ ، ونظرت علي الزقاق الموحل ، كان خـــال ، ولـــون

[١] – رهنورد زرياب : شاه عزل صـــ١٧٥

الظلمة يعكس صورة السماء ،ووسط إنهمار المطر ، ترامت إلى مسامعي أصوات ضحكات ،ضحكات عالية وصاخبة ،كانت لرجل ،أو ربما لرجلين يضحكان ، في منعطف الزقاق ، أسفل المطر،فألصقت وجهي بزجاج النافذة كي أراهما ،ولكني لم أستطع رؤيتهما ، وفي تلك الأثناء ، وفجأة سمعت ذلك الصوت :

كان الصوت يقول : كيف يستطيع الضحك و السحب تبكي ؟ . وذهبت إلى فراشي وهمست بصوت خافت ،كيف يستطيع الضحك والسحب تبكي ؟.

وللحظة نسيت كل شئ ، الضحكات ، المطر ، والسماء الملبدة بالغيوم ، ونظرت حولي ، لم يكن هناك أحد ، وذهبت لا إرادي إلي فراشي واستلقيت عليه ، وشعرت بـ لذة عجيبة وغريبة، من سماع ذلك الصوت ، كان يبعث على الراحة والهدوء ، جعل قلبي يشعر بالخفة ،وبنفس الشكل كنت استلقيت على السرير ، وهمست بصوت خافت :

كيف يستطيع الضحك والسحب تبكي ؟

وفجأة ، إشتد خفقان قلبي ، وشعرت بـ نهجان شديد ، و أن الغرفة تدور ، كل شئ من حولي يدور ، لا إرادي ،ذهبت صوب النافذه ، وإلي الآن يترامى إلى مسامعي أصوت الضحكات من بعيد ، وفتحت النافذة بسرعة ، وقطرات الأمطار غسلت وجهي ، وأمتلئ صدري كاملاً بالهواء البارد والرطب ، وصرخت بكل قوة : كيف يستطيع الضحك ؟ والسحب تبكي .

وذهب صراخي في منعطفات الأزقة الموحلة ، واختفى ، ولم أعد أسمع ضحكات الرجال مرة أخرى ، أغلقت النافذة ،وكان نصف جسدي قد تبلل من ماء المطر ، ووضعت قبضتي علي شعري ، وقمت بتجفيف وجهي بطرف الغطاء ، وشعرت بـ دوار للحظات ، ثم سألت نفسي بهدوء ما هذ الفعل الذى فعلته ؟ وبدون أن أبحث عن أجابة ،ذهبت صوب فراشي ،وخلدت إلي النوم .

وعندما استيقظت من النوم، كان الجو مظلم ، ولم تعد السماء تمطر، وعمت الظلمة الباردة والرطبة كل غرفتي ، وعندما فتحت عيوني، كنت أشعر بـ قليل من الدوار،ثم تذكرت كل شئ ، ضحكات الرجال في الزقاق ، المطر ، وصراخي ،وتذكرت ذلك الصوت ، وتمنيت أن أسمعه مرة أخرى ، ولكن لم يكن هناك صوتا ، خبئت وجهي في الوسادة ، وكان يعذبني ألم غريب ، ورعش الإضطراب بدني ، ونهضت بسرعة ، سمعته في وسط الظلمة ، الباردة ، الرطبة ، نعم سمعته ، كان نفس الصوت الذي قال :

" أنا لحن بلا صوت " ،كيف يستطيع أن يكون لحن بلا صوت ؟ أنا نفسي لا أعرف .

حائر ، مبهوت ،و مملوء باللذة الغريبة ،تسَمرت في مكاني ، لا أعرف كم مضى من الوقت علي بهذا الشكل ، ومرة أخرى عدت إلي صوابي وهمست : " أنا لحن بلا صوت " .

كيف يستطيع أن يكون لحن بلا صوت ؟ أنا نفسي لا أعرف .

وكررت هذه الجملة عدة مرات،ثم شعرت أن تلك الجملات مضحكة شيئا ماً،وضحكت لا إرادي، جرت ضحكاتي وسط ظلمة الغرفة ، الباردة، والرطبة ، هنا وهناك ، واختفت ،ووضعت شالي على كتفي ، وخرجت من غرفتي ، ونزلت من علي الدرج ، وذهبت إلى غرفة أخي ، وجدته قد جلس يكتب شيئاً ، سألت :

ماذا تفعل ؟ رفع رأسه لأعلى وأجاب أحل أسئلة الجبر، نظرت فى أوراقه فوجدت أشكالاً أرقاماً، مختلطة ببعضها البعض ولم أفهم منها شيئاً ، وكان التعب يبدو على وجه أخي، وشعرت أن الأشكال والأرقام ، ترقص في عيونه ، فجأة فتحت فمي ، وأخرجت ضحكاتي : سأل أخى : لماذا تضحك ؟

وبنفس الشكل ،وأنا أضحك ، ذهبت صوب باب الغرفة ، ووقفت بالقرب من البوابة ، وفي الوقت الذي كنت أشير بيدي ، قلت : أنا لحن بلا صوت " .

كيف يستطيع أن يكون لحن بلا صوت ؟ أنا نفسي لا أعرف، وتعالت ضحكاتي .

سأل أخي : ماذا تقصد ؟ قلت : لحن بلا صوت .

وعندما كنت أضحك ، خرجت من المنزل ،وظلمة البرد والرطوبة ، كانت قد ملئت الزقاق،ولم تعد السماء تمطر،وأظلمت السماء،وشعرت أن صورة الحزن الكبيرة ــ بـ إطارالوحدة اللامتناهية ـــ صارت أكثر إشراقا ، وكان حذائي قد تبلل ، والتصق بالماء ، والطين ،وانطلقت في الطرقات لمدة ، وسط ظلمة البرد والرطوبة ، لم أكن أعرف أين أذهب ؟

ولكنني مشيت ،وتبلل حذائي والتصق بالماء والطين ،وفي تلك الحالة، فكرت بذلك الصوت الجذاب ،وشعرت أن هذا الصوت يبقي كقطعة قماش حريرية ، تداعب آذان البشر .

ووصلت إلى زقاق ضيق ومغطى ، حدقت في المصباح ذا الضوء الخافت ، وتمنيت أن أسمع هذا الصوت مرة أخرى ، و فكرت في هذا الصوت من أين يأتي ويعلو ؟ وللحظات طويلة ، حدقت بنفس الشكل في المصباح ،وبقيت أفكر .

فجأة فهمت أن هذا الصوت ينهض من داخل أعماقي ، بهذا الإكتشاف الكبير ، وبفرحة غير قابلة للوصف – جعلت بدني ساخناً – همست : إذا إبقى معي إلي الأبد !

وإرتعد بدني ، وشعرت أنني سوف أسمع هذا الصوت في هذه اللحظه ،وأغمضت عيوني، وللحظات ، حقا ، سمعت الصوت كان يقول:

صوت .... صوت ، الصوت العذب كل شئ .

لا أحد يفهم عذوبة الصوت .

تلك اللذة الغريبة ، أملئت قلبي ، ونهضت بسرعة وقلت : شكراً جزيلاً .

وانطلقت في الطريق متحمساً ، لا أعرف كم من الوقت مضى وأنا في الطريق ؟

وفي النهاية اقتربت من مقهى ، وكنت متعباً ، ذهبت داخله ووجدت أريكة كبيرة ، فجلست عليها ، وكانت الإضاءة خافتة ، وفي إحدي جوانبه ، كان قد جلس ثلاثة أشخاص بالقرب من بعضهم ، و

يتجاذبون أطراف الحديث ، ورجل آخر في زاوية ، وبـــرأس منحنيـــة ، يضرب على الطنبور ، وأتى النادل فسألني هل السماء تمطر بالخارج ؟ قلت : لا .

قال : ماذا أحضر لك ؟ قلت : شاى أخضر .

واتكأت على الجدار ، وحدقت النظر في السقف الذي كـــان يملئـــه الدخان ، وشعرت أن السقف غير موجود ، وأنني أنظر إلى الســـماء – تلك السماء التي كانت كصورة كبيرة من الحزن ، في إطار من الوحـــدة اللا متناهية ،وتذكرت الصوت الذي خرج من داخلي ،وثـــار الـــتحمس بداخلي:

وسألت الرجل الذي كان يعزف علي الطنبور : مـــاذا يقـــول هـــذا الطنبور ؟

أجاب : لا يقول شئياً .

سألت : لماذا ؟ ضحك وقال : ليس للطنبور صوت .

قلت : ولكن لماذا يصدر صوتا ؟

وإهتز الرجل من كثرة الضحك ، وشعرت أنني لست أنا من يتحدث ، شعرت أن صوتا غريباً يخرج من فمي ، شعرت أنني مُت ، وأن شخصا آخر جاء علي نفس هيئتي ، وتعمقت في التفكير ، وشـــعرت أن ذلـــك الكائن الذي أسمع صوته ، ليس غريباً عني ،وشعرت أنه لسنوات عديدة كان بداخلي ، أصبح الآن كبيراً ، وقوياً ، قام بإبعادي وأخـــذ مكانـــه ، وسُررت ، حادث مبارك ، وشعرت أنني أنا من قام بتربية ذلك الكائن ، غذيته بـــ لبن الصمت والوحدة ، في ملحفة الحزن والوحدة ، والآن هو

أصبح كبيراً، وأنا بكل سرور ورغبة ،أسلمت زمام الأمور له ، كائن ذا مستقبل جيد ، ونظرت على الجدار، فوجدت صورة لرجل عملاق قد رُسمت على الجدار ، كان يحارب كائن عجيب ، كان الرجل عملاقاً ، وعيونه كبيرة ، وقده غير متناسق ، كان يبدو مضحكاً ، مضحك جداً.

وأحضر النادل الشاي ، وأشرت علي الصورة وسألت : ما هذا ؟ ، أجاب :بفتور يقولون إنها حرب رستم والعفريت الأبيض ،قلت : أين رستم ؟ أشار على الرجل المضحك والعملاق: هذا.

ذهب النادل ،والرجال الثلاثة يتحدثون كما هم ،والرجل الآخر كان يعزف بهدوء علي الطنبور . وقلت له قم بالغناء ،رفع رأسه لأعلي وأبتسم ابتسامة بلهاء ،وقال : ليس في ذهني شئ !

قلت : عليك بالعزف وعلي بالغناء ، قال : حسناً ، اقترب أكثر وبدأ فى العزف ، وأنا أغني :

لم يعد رستم موجوداً ، ولا حتى القصاص ،لم يعد أحدُ يصغى لمثل هذه القصص ،وأصبح رستمنا مضحكاً ، مضحكا جداً ، وما أحزن ذلك!.

قطع الرجال الثلاثة حديثهم ، وحدقوا في بتعجب ، توقف الرجل عن العزف ، سألت :

لماذا لا تعزف ؟ .

قال : هذا ليس غناء ، سألت : لماذا ؟

قال :- أنا لا أستطيع العزف مع هذا الغناء ،وأطبق الغضب علي قلبي ، ونزلت من على الأريكة ، وصرخت :هؤلاء غزلياتي ، هم كأبنائي ، وما دخلكم أنتم ؟

ثم ذهبت صوب البوابة ، قال النادل : أعطني حق الشاي .

وضعت المال في يده وقلت : أنا أستطيع التحليق لأعلى ، لماذا محيطي صغيراً هكذا ؟

ورفع النادل أكتافه لأعلى ، وذهبت في الخارج ، وسمعتهم جميعا يقهقهون من خلفي .

وعندما استيقظت من النوم ، كان النها رقد سطع ، ولم تعد ترى تلك الظلمة الباردة والرطبة ، في حجرتي مرة أخرى وفكرت في أحداث الليلة الماضية ،كل شئ كان يبدو في نظري كأسطورة دخلت أختي ، كانت قد أحضرت الفطور وسألت: كيف حالك ؟

قلت : كل شئ أصبح أسطورة ، تأوهت وقالت : نعم صحيح .

فقلت لها لماذا نصنع تلك الأسطورة الحزينة ، أسطورة الحياة ؟

هزت رأسها بحسرة وقالت : لا أعلم وذهبت ، وأنا من خلفها ناديت : غزلياتي هم أبنائي .

ثم ، كنت قد شربت كوباً من الشاي ، حتى جاء أبي ،كان يبدو كما هو دائماً ، ذا وقار وجدية وصلابة ، وجلس بجوار سريري ، وقال : أمس جئت متأخراً .

قلت : نعم كنت قد ذهبت للتنزه .

قال : لو لم يكن اليوم الجمعة ، لذهبت إلى عملك متأخراً .

قلت : نعم صحيح .

وأضفت : بالأمس رأيت رستم والعفريت الأبيض .

قال : أين ؟ قلت : مرسوم على حائط .

قاطعني أبي وقال : كل ما يتمنوه يفعلوه ، جيد ، هل تعرف من سيأتى اليوم ؟ .

قلت : من ؟ قال : يأتون لخطبة أختك .

وتذكرت أنني علي علم بذلك الموضوع ، قلت : نعم أعلم .

قال : كن مستعداً الساعة العاشرة .

وذهب ، وأنا قلت من خلفه : يا له من مضحك !، رستم هذا .

وسمعته يقول :- وما دخلي أنا بذلك ؟ ليكن ... ليكن مضحكاً .

وفى تمام العاشرة ، أتى خُطاب أختي ، كانوا أربعة ، خمسة ، أشخاص، كانوا مثل الأشخاص الأخرى ، لم يكن فيهم شئ جاذب ، فقط كانت حركاتهم وحديثهم ، بتكلف وتصنع ، وكانوا ملتحيين ، ويرتدون عمامة ، وغلب محيط خانق على الغرفة ،وشعرت بالوحشة وخرجت

و ذهبت إلى غرفتي ، ونظرت من النافذة ، وكان الهواء ملبداً بالغيوم ، وظننت أن السماء ستمطر قريباً ، وأتى أخي وقال :إن أبي يريدك ،وذهبت مرة أخرى إلى هذا المحيط الخانق، وقال أبي شيئاً ، ثم

قال أحدهم : نحن نشعروكأننا في منزلنا ،وأكد الجميع كلامه ، وأطبق محيط الغرفة علي قلبي ، أطبق شئ آخر أيضاً على قلبي ، وقلت :

نحن جميعنا ضيوف في تلك الدار ، يومان ، أو ثلاثة أيام.

وأكد الجميع كلامي ، بلا شك كما قلت .. بلا شك ،وبدأوا في الحديث عن هذه الدنيا الفانية .

وأنا نظرت محدقاً في صورة لعدة جِمال، كانت معلقة على جدارالغرفة ،منذ سنوات وتلك الجِمال معلقة علي جدار منزلنا في هذه الصورة ، وشعرت أن تلك الجمال صارت متعبة ، وتريد أن تذهب من تلك الغرفة إلى منزلها ، وشعرت أنهم يتمنون أن يذهبون من تلك الغرفة ، إلى الصحراء حيث الرمال، و الحصى ،وكان محيط الغرفة خانقاً مرة أخرى ،وكان جميع الحضور يتحدثون عن الأرض ، والسماء ، والحياة ، ولم يكن أحد يتحدث عن الجمال ، وأنا كنت أجلس ناحية اليمين، وقلت بصوت مرتفع : الجمال مستعدة ،ولكن ليلى ليست موجودة،

قال أحدهم بسرور : صحيح ، ولكننا بعدنا عن الموضوع ، من الأفضل أن نتحدث عن بشرة ليلى الطاهرة ، وضحك الخطاب الآخرون ، ومع الثناء والشكر ، نظروا صوبي وقالوا :

صحيح ، كاملًا صحيح ، أنت قلت كلاماً مناسباً جداً .

وأنا أيضاً ، قلت بصوت مرتفع : ولكن فوات الأوآن ، لقد ماتت ليلى ، ربما لو كان من البداية ، لإستطعنا عمل شئ ، وفجأة شمل

الغرفة صمت مخيف ، وسعل أحدهم سائلاً : ماذا تقصد ؟ هل يمكن أن توضح ؟

وبإنفعال قلت : نحن فى انتظار مسافر، ولكنه أبداً لن يعود ،وأنتم في انتظار من ؟ .

نظر الخُطاب إلى بعضهم البعض ، وسألوا أبى : ماذا يقول هذا الشاب؟.

وقال أبى بعصبية :هل جُننت ؟ فقلت : أنا أقول غزلياتي .

فنهض أبي وأمسك بيدي ؛ كي يخرجني من الغرفة ، وحررت يدي، ونظرت صوب الخُطاب وقلت : "إلقي السلام علي الحوادث ، وامضي ولو أنك تصرخ ،فالصراخ يجعلك ثملا ".

ثم صرخت ، لا أعرف ماذا حدث ، فقط فهمت أن أبي صفعني على وجهي .

ولم تمض لحظة حتي صرت في الزقاق ، وغَسلت الأمطار وجهي ، وكانت السماء مظلمة وملبدة بالغيوم ،صورة كبيرة من الحزن ، في إطار من الوحدة اللا متناهية ، وانطلقت في الزقاق في البرد الرطب ، وكان حذائي قد تبلل ، والتصق بالماء والطين ،والعابرون كانوا يمرون بسرعة ، ويذهبون إلي أماكن غير معروفة .

جاءت بالقرب مني فتاة صغيرة ، وسألت : أين حمام السيدات ؟

نظرت صوبها ، كانت مضطربة ، وترتجف من البرد ، كانت أسنانها ترتعش ، وفي عيونها يُري الملل ، أصلا عيونها كانت قادمة من

المستقبل ، كانت صامتة ، ومبهمة ، ومظلمة ، وبدلاً من أن أجيبها ،سألت :أين ملك غزلياتي ؟

وفجأة تملكها البكاء ، وإمتلأت عيونها بالدموع ، واختفى المستقبل فيها ، وشعرت أن الجدران الرطبة والمبللة بالأمطار لحظة ، بلحظة ، تقترب من بعضها البعض ، لكي تضغط عليَ وتسحقني ، وشعرت أن الفتاة الصغيرة أيضا خائفة من الجدران ، قلت لها : إذهبي من هنا بسرعة .

وأنا بدأت في الجري ،وأصبح الماء والطين من حولي رياحاً ، وأتي واحد من معارفي في طريقي وسأل : لماذا تجري ؟

نظرت خلفي ، رأيت الفتاة الصغيرة تقف من بعيد ، وشعرت أن عيونها يتدفق منها الملل ، ومرة أخرى سأل هذا الشخص: لماذا تجري؟

قلت : غداً ، لابد أن أذهب إلي مكتبي .

تحير وتجمد في مكانه ، وكان الماء يقطر من كل بدنه ، وعندما كنت ألهث ، قلت له :

"إهرب من المستقبل ، يا صديقي " وبدأت في الجري .

لا أعرف كم من مدة جريت ، وطويت الأزقة الواحد تلو الآخر ، في الواقع طويت كل الأزقة، طويت طرق كثرة ، وانتبهت فجأة أنه لم يعد هناك أزقة ، حتى وصلت إلى أسفل جبل، ولم أجرِ مرة أخري ، ،كنت متعباً جداً ، وأشعر بالعطش ، وكانت المقابر تظهر من حولي في كل مكان ، وكان المطر قد غسل المقابر، وغسل الأشجار الجافة ، كان غسيلاً جيداً ، وأنا مشيت في الطريق الطيني البارد .

فجأة ،وجدت نفسي أمام مقبرة أمي، وجلست على ركبتي بجوارها، وملست على شاهد المقبرة بيدي ، كان بارد، وقد غُسل بالأمطار، ونظرت إلى السماء ، كانت مظلمة وملبدة بالغيوم ، وقفلت قطرات الأمطار عيوني ، ونظرت يميناً ويساراً ، كان المكان مظلماً وملبداً بالغيوم ، وكان يعكس صورة السماء ، الحزن الكبير في إطار من الوحدة اللامتناهية ، ونظرت خلفى فوجدت آثار أقدامي وقد غسلتها الأمطار، و اختفت رويداً رويدا، وأمتلئ صدري بالهواء البارد والرطب ، وصرخت : " أيها المستقبل ، أريد أن أنساك "

وسمعت صدى صوتي ،وكأنه انعطف في الجبل ، وعاد مره أخرى .

"أيها المستقبل ، أريد أن أنساك ".

وشعرت أنني أصبحت أكثر خفة وراحة ، ووضعت رأسي على شاهد قبر والدتي، وهمست : أمى ، أمى ، أين ملك غزلياتي ؟

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- الطاهر أحمد مكي (دكتور):

القصة القصيرة ، دراسة ومختارات ، القاهرة ١٩٧٧م .

- آيان رايد : ترجمة منى مؤنس (دكتورة)

القصة القصيرة ، القاهرة ١٩٩٠م.

- رشاد رشدي :

فن القصة القصيرة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- سيد حامد النساج (دكتور) :

اتجاهات القصة القصيرة ، القاهرة ١٩٧٨م .

- عباس خضر (دكتور) :

القصة القصيرة في مصر منذ نشأتها ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- فضل الرحمن فاضل (سفير أفغانستان):

صرخة عبر القرون ، القاهرة ٢٠١٥م .

- محمد مندور (دكتور) :

في الأدب والنقد ، بدون تاريخ .

- محمود زهي (دكتور) :

تذوق الأدب ، وطرقه ووسائله ، ١٩٨٩م .

- نبيل راغب (دكتور) :

المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلي العبثية ، القاهرة ١٩٧٧م .

- يوسف الشاروني :

القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً، القاهرة ، ١٩٧٧م.

ثانيا : المصادر والمراجع الفارسية :

- پوهاند رسول رهین :

کی کی‌ست در فرهنگ برون مرزی افغانستان،استوکهولم ،سوید، ١٣٨٤هـ ش.

- تذکره داستاني از سپوزمی زری‌اب :

نوی‌سنده توانای افغانستان (www.persian Persia.com).

- رهنورد زریاب :

مردی که سایه اش ترکش کرد ، کابل ، ١٣٩٢هـ ش .

- زندگی نامه محمود دولت آبادی :

مجله سخن ، شماره ٣ ، تهران ، ١٣٨٠هـ ش .

- صدیق فرهنگ :

افغانستان در پنج قرن اخیر ، کابل ، ١٣٧٤هـ ش.

- لطیف نظمی :

رهنورد زریاب ، وب سایت : آسمایي .

- واصف باختري :

محمد ظاهر بدخشی کی بود ، کابل ، ١٩٨٠م .

- یحی آرین پور :

از نیما تا روزگار ما ، جلد سوم ، چاپ چهارم ، تهران ، ١٣٨٢هـ ش .